من أسرار التذييل في آيٍ من التنزيل

من الآية:١٨٩ إلى الآية: ٢٠٢ من سورة البقرة

إعداد/ د. رمضان خميس زكي الغريب

عضو هيئة التدريس في جامعة الأزهر

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة وهداية للعالمين محمد – (ﷺ) وآله وصحبه والتابعين–، اللهم إنا نبرأ من حولنا وطولنا وقواتنا، ونلوذ بحولك وطولك وقوتك؛ فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا قبضتها يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نسألك يا حنان يا منان يا بديع السماوات والأرض أن تجعل أقوالنا وأعمالنا وحركاتنا وسكناتنا فيك لك خالصة؛ إنك على كل شيء قدير، أما بعد ... فلقد نزل القرآن بلسان العرب ولغتهم، وحوى أسلوبهم وطرائق تعبيرهم، وخاطب العقلية العربية التي نزل فيها خطاب الفَهِم لدروبهم، العارف بالخصائص النفسية لهم، فخلب منهم الألباب، وبهر العقول والأنظار، فوقفوا دَهِشين لبيانه، مقدرين – على اختلافهم معه– لروعة إعرابه وإفصاحه، واستل من بين حنايا صدورهم عبارات الاعتراف بأنه فوق قوة البشر، وأنه لا يقوله إلا رب القوى والقدر، وما حديث الوليد بن المغيرة وغيره عن القرآن منا ببعيد:

شهدت لها ضراتها بجمالها والفضل ما شهدت به الأعداء ([1])

أهمية البحث ودواعي الكتابة فيه

لهذه الدراسة المتواضعة أسباب دعتني إلى الكتابة فيها، منها:

١– أنها باب من أبواب القربى إلى الله– عز وجل– على قدر الطاقة البشرية. فشرف العلم بشرف موضوعه وموضوع هذا البحث آيات من كتاب الله، رغبة في إبراز ملمح من ملامحها، ولون من ألوان البلاغة القرآنية فيها.

٢– إظهار جانب من جوانب الإعجاز القرآني في بعض آياته، يتعلق بصورة من صور البيان البلاغي في القرآن؛ دعوة للنظر في هذا الكتاب الكريم الذي لا تبلى جدته ولا يخلق على كثرة الرد.

---

[1] ـ البيت للسري الرفا، انظر: ديوان المعاني لأبي هلال العسكري،٢٥/١، ويتيمة الدهر: ٢١٠/١، للثعالبي.

٣- غنى القرآن الكريم عامة، والآيات المختارة خاصة بأسلوب التذييل في التعبير مما يشي بروعة هذا الكتاب الكريم الذي جذب عقول العرب وما يزال، وهم أرباب الفصاحة وفرسان البيان، وما زال قادرا على دعوة الناس في كل زمان ومكان إلى الاغتراف من معينه الصافي، والنَهَل من عطائه الثر؛ معجزة من معجزات الدهر التي لا تنتهي عند حد، ولا تقف عند سد.

٤- قيمة التذييل في روعة التصوير وجمال البيان، وقدرته على تسهيل الحفظ وتصوير المعنى واختزاله وتأكيد معناه مما يتضح من عرض الآيات الكريمة بعد.

٥- دعوة كريمة من علماء كرماء وأساتذة فضلاء، ملأ الله قلوبهم نورا، وعقولهم علما، فرصدوها لبيان روعة الكتاب الكريم، أعرض أمامهم عقلي رغبة في الإفادة والتعلم، طامعا في فضل علمهم وتقويمهم، يهبونني من فضل الله الذي آتاهم،والله وحده له الفضل، يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم.

- مشكلة البحث

لما كان القرآن الكريم غنيا بالإعجاز البلاغي عامة وبالتذييل خاصة غنى يستوقف النظر، ويلفت البصر، وكان هذا اللون من ألوان البيان القرآني (التذييل) له مكانته في القرآن ولدى علماء البلاغة والأدب أردت أن أشارك بنصيب في إبرازه وتبيين قيمته في ضوء الآيات المختارة حسب الطاقة، وقدر المستطاع.

- أسئلة البحث

السؤال الرئيس الذي دارت حوله الدراسة هو: ما أسرار التذييل في الآيات المختارة ؟.

وتفرع عن هذا السؤال عدد من الأسئلة هي:

١- ما مفهوم التذييل تعريفا وأقساما؟.

ما قيمة التذييل البلاغية، و ما علاقته بالإعجاز القرآني.؟

كيف عنى العلماء بالتذييل في القرآن الكريم؟.

ما العلاقة بين التذييل وبيئة النزول في ضوء الآيات المختارة ؟.

ما العلاقة بين التذييل والفاصلة، وعلم المناسبة ؟.

ما العلاقة بين التذييل وبعض المصطلحات البلاغية المشابهة له.؟

ما العلاقة بين مفردات الشريحة المختارة والتذييل ؟.

ما أسرار التذييل الوارد في صورة المثل في الآيات الكريمة.؟

ما أسرار التذييل المؤكد للمنطوق في الآيات الكريمة وجمالياته.؟

ما أسرار التذييل المؤكد للمفهوم في الآيات الكريمة وجمالياته.؟

- أهداف الدراسة

من خلال الإجابة عن الأسئلة السابقة يمكن تحقيق الهدف العام، وهو معرفة بعض أسرار التذييل الوارد في الآيات المختارة.

- حدود الدراسة

اقتصرت الدراسة على بيان بعض أسرار التذييل وجمالياته في الآيات المختارة بعد ذكر مفهومه وبيان أقسامه ما استطاعت إلى ذلك سبيلا.

- منهاج البحث وأداته

تعددت المناهج التي اعتمد عليها الباحث للوصول إلى أهدافه من بيان بعض إسرار التذييل في الآيات المختارة حسب طبيعة المرحلة التي يتناولها، فاستخدم المنهاج الوصفي والاستقرائي والاستنباطي، وكانت أداته تحليل المحتوي بعد حصر المفردات وتتبع القضية، واعتمد في ذلك على ما كتبه علماء التفسير والبلاغة واللغة وغيرهم ممن عنوا بهذه الزوايا من الدراسات التأصيلية؛ بغية الوصول إلى أهداف البحث.

- هيكل البحث

القسم الأول: الجانب التنظيري

المبحث الأول: مفهوم التذييل تعريفا وأقساما.

المبحث الثاني: قيمة التذييل البلاغية وعلاقته بالإعجاز القرآني.

المبحث الثالث: العلاقة بين التذييل والفاصلة، والمناسبة.

المبحث الرابع: العلاقة بين التذييل وبعض المصطلحات البلاغية المشابهة.

القسم الثاني: الجانب التطبيقي

المبحث الأول: دراسة المفردات للشريحة القرآنية وعلاقتها بالتذييل.

المبحث الثاني: من أسرار التذييل الوارد في صورة المثل في الآيات الكريمة.

المبحث الثالث: من أسرار التذييل المؤكد للمنطوق في الآيات الكريمة وجمالياته.

المبحث الرابع: من أسرار التذييل المؤكد للمفهوم في الآيات الكريمة وجمالياته.

الخاتمة وشملت النتائج وأهم التوصيات.

فهرس بأهم المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

القسم الأول الجانب التنظيري

المبحث الأول:

مفهوم التذييل تعريفا وأقساما

التذييل البلاغي في القرآن الكريم لون من ألوان الإطناب، وصورة من صوره، وقبل الحديث عن التذييل وتعريفه لابد من تعريف الإطناب الذي هو بابه ومدخله، فنقول:

الإطناب:(مصدر أطنب في كلامه إطنابا إذا بالغ فيه وطول ذيوله لإفادة المعاني. واشتقاقه من قولهم: أطنب بالمكان إذا أطال مقامه فيه، وفرس مطنب إذا طال متنه، ومن أجل ذلك سمي حبل الخيمة: طنبا لطوله، وهو نقيض الإيجاز في الكلام)([1]).

ولا يخفي ما بين الإطناب والبلاغة من علاقة، حتى إنهم عرفوا البلاغة بأنها: الإطناب والإيجاز، ولعلك تلمح معي الجمع بين المتقابلين في تعريفهم للبلاغة: الإطناب والإيجاز؛ لأن لكل مقام مقالا، وما يحسن في موضع لا يحسن في غيره، وما يعد بلاغة في حال لا يعد كذلك بالضرورة في كل حال، ولذلك قال أبو هلال العسكري في الصناعتين: (قال أصحاب الإطناب: المنطق إنما هو بيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والإشباع لا يقع إلاّ بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشدّه إحاطةً بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامّة إلاّ بالاستقصاء، والإيجاز للخواصّ، والإطناب مشتركٌ فيه الخاصة والعامة، والغبي والفطن، ولمعنى ما أطيلت الكتب السلطانية في إفهام الرعايا.

والقول القصد أنّ الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام، ..، ولكلّ واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه، فمن استعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ.

والإطناب إذا لم يكن منه بدٌّ إيجاز، وهو في المواعظ خاصّة محمود، كما أن الإيجاز في الإفهام محمود ممدوح.

وقيل لبعضهم: متى يحتاج إلى الإكثار؟ قال: إذا عظم الخطب. وأنشد:

صموتٌ إذا ما الصّمتُ زيَّن أهلهُ ... وفتّاق أبكارِ الكلامِ المحبّرِ([1])

---

[1] - الطراز: يحيى بن حمزة العلوي، ٢/٢٣٠.

وقال آخر:

يرمونَ بالخطبِ الطّوالِ وتارةً ... وحيَ الملاحظِ خشيةَ الرُّقباءِ([2])([3]).

وللإطناب ألوان وصور منها كما أسلفت التذييل وهو محط رحالنا وبيت قصيدنا، ومنها الاعتراض، والإيضاح والإيغال، والبسط، والتتميم ،والتكميل، والتكرير،والتوشيع، وذكر الخاص، والزيادة، والطرد والعكس، والتعليل، ونحو ذلك...

وإذا كنا قد عرفنا الأصل الذي يتفرع منه التذييل وهو الإطناب فلنعرف التذييل وقد عني بتعريفه علماء علوم القرآن واللغة والبلاغة والأدب ومن تعريفهم يمكن أن نقول:

التذييل في اللغة

يقول صاحب اللسان:(الذَّيْل آخر كل شيء وذَيْل الثوب والإِزارِ ما جُرَّ منه إِذا أُسْبِل والذَّيْل ذَيْلُ الإِزار من الرِّداء وهو ما أُسْبِل منه فأَصاب الأَرض وذَيْل المرأَة لكل ثوب تَلْبَسه إِذا جرَّته على الأَرض من خلفها، .. الذيلُ واحد أَذْيال القميص وذُيولِه، وذَيْلُ الرِّيح ما انسحب منها على الأَرض، وذيل الرِّيح ما تتركه في الرمال على هيئة الرَّسَن ونحوه،كأَنَّ ذلك إِنما هو أَثَرُ ذَيْل جرَّته ،ولكل ريح فيه ذَيْلٌ مَسْفور وذَيْلُها أَيضاً ما جرَّته على وجه الأَرض من التراب والقَتام والجمع من كل ذلك أَذْيال ..وقيل: أَذْيالُ الرِّيح مآخِيرها التي تُكْسَحُ بها ما خَفَّ لها وذَيْلُ الفرس والبعير ونحوهما ما أَسْبَلَ من ذَنَبه فتَعَلَّق وقيل ذَيْلُه ذنبه وذَالَ يَذِيل وأَذْيَل صار له ذيْلٌ وذالَ به شالَ وكذلك الوعِلُ بذنَبه وفرس ذائلٌ ذو ذَيْلٍ وذَيَّال طويل الذَّيل وفي الصحاح: طويل الذنب والأُنثى ذائلة وقال ابن قتيبة: ذائل طويل الذَّيل وذَيَّالٌ طويل الذيل، وفي التهذيب أَيضاً: طويل الذنب، ..فإِن كان الفرس قصيراً وذنبه طويلاً، قالوا ذائل والأُنثى ذائلة أَو قالوا ذَيَّالُ الذنب فيذكرون الذنب ويقال لذنب الفرس إِذا طال ذَيل أَيضاً وكذلك الثور الوحشي والذَّيَّال من الخيلِ المُتَبَخترِ في مَشْيه واسْتِنانه كأَنه يَسْحَب ذَيْلَ ذنَبه وذالَ الرجل يَذِيل ذَيْلاً تَبَخترَ فجرَّ ذَيْله... ويقال ذالت الجارية في مَشْيها تَذِيل ذَيْلاً إِذا ماسَت وجَرَّت أَذيالها على الأَرض

---

[1] ـ قاله عبد الله بن المبارك في أنس بن مالك ، وانظر العقد الفريد: ١/ ١٦١.

[2] ـ البيت لأبي دؤاد بن حريز الإيادي، انظر البان والتبيين: ٥٠/١.

[3] ـ انظر الصناعتين:٥٩/١، المثل السائر: ١/ ١٧٦.

وتبخترت، وذالت الناقةُ بذنبها إذا نشَرتْه على فخذيها،..وذَيْلُ المرأَة ما وقع على الأَرض من ثوبها من نواحيها كلها، قال فلا نَدْعو للرَّجُل ذَيْلاً فإن كان طويل الثوب فذلك الإِرْفال في القميص والجُبَّة، والذَّيْلُ في دِرْع المرأَة أَو قِناعها إذا أَرْخَتْه، وتذيلت الدابةُ حرَّكت ذنَبها من ذلك، والتَّذَيُّل التَّبَخْتُر منه، ودِرْع ذائلةٌ وذائل ومُذالةٌ طويلة، والذّائل الدِّرْع الطويلة الذَّيْل ...،وذَيَّل فلان ثوبه تَذييلاً إذا طوّله، ومُلاءٌ مُذَيَّلٌ طويلُ الذيل وثوب مُذَيَّل قال الشاعر ... عَذَارَى دَوارٍ في مُلاء مُذَيَّلِ([1])

ويقال أَذالَ فلان ثوبه أَيضاً إذا أَطالَ ذَيْله .. وأَذالَت المرأَةُ قِناعَها أَي: أَرْسَلَتْه،وحَلْقة ذائلة ومُذالة رَقيقة لطيفة مع طُول)([2]).

وقد حرصت على نقل المادة – على- طولها رغبة في تبين دلالاتها وتفرعاتها، وحرصا على بيان صورتها من جميع جوانبها، والملاحظ من الدلالة اللغوية من خلال سرد المادة التي منها **التذييل** وتتبع جذورها أنها تدل على بعض المعاني التي تتحقق في التذييل الاصطلاحي ولها به نسب وصهر، ومن ذلك:

١- أنها تدل على الوفرة والسعة، (ذَيْل الثوب والإِزارِ ما جُرَّ منه إذا أُسْبِل).

٢- أنها تدل عل التبختر والدل، وفي ذلك ما فيه من ملامح الجمال وخصال الروعة والبهاء: (والذَّيَّال من الخيلِ المُتَبَختِر في مَشْيه واسْتِنانه كأَنه يَسْحَب ذَيْلَ ذنَبه وذالَ الرجل يَذِيل ذَيْلاً تَبَخَترَ فجرَّ ذَيْله ..)، (ذالت الجارية في مَشْيها تَذِيل ذَيْلاً إذا ماسَت وجَرَّت أَذيالها على الأَرض وتبخترت).

٣- أن المادة تدل على معنى البسط والنشر،(ذالت الناقةُ بذنبها إذا نشَرتْه على فخذيها ..وذَيْلُ المرأَة ما وقع على الأَرض من ثوبها من نواحيها) وفي ذلك من السعة والإغناء ما فيه.

٤- أن المادة تدل على الطول:(ذَيَّل فلانٌ ثوبه تَذييلاً إذا طوّله ومُلاءٌ مُذَيَّلٌ طويلُ الذيل وثوب مُذَيَّل، قال الشاعر

---

[1] - البت لامرئ القيس وأوله: فعن لنا سرب كأن نعاجه، وانظر الكامل في اللغة والأدب: ٤١/١، للمبرد.

[2] لسان العرب: ١١/ ٢٦٠، مادة (ذ ي ل).

(فعَنّ لنا سِربٌ كأنّ نِعاجَه عَذَارَى دَوارٍ في مُلاء مُذَيَّلِ)، وفيه من خصال البهاء ما فيه.

٥- أنه يكون في الأواخر:(الذَّيْل آخر كل شيء) وهذا لون من ألوان التذييل الاصطلاحي، كما سيأتي في تقسيمه.

٦- أن المادة تدل على المبالغة: (مصدر ذيل للمبالغة)، وفي المعنى الاصطلاحي للتذييل سيتضح لون المبالغة في بيان المعنى من خلال عرض الأمثلة والنماذج قدر المستطاع.

التعريف الاصطلاحي

التذييل في الاصطلاح له بالتعريف اللغوي عروة وثقى، فقد عرفه الإمام الزركشي بقوله:(أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقا لدلالة منطوق الأول أو مفهومه ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم ويكمل عند من فهمه)([1]).

وعرفه الإمام السيوطي بقوله: (أن يؤتى بجملة عقب جملة والثانية تشتمل على المعنى الأول لتأكيد منطوقه أو مفهومه ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ويتقرر عند من فهمه)([2]).

وعرفه صاحب التعاريف بقوله: (التذييل تعقيب جملة بجملة مشتملة على معناها للتأكيد ([3])

وعرفه صاحب تحرير التحبير بقوله: (هو أن يذيل المتكلم كلامه بجملة يتحقق فيها ما قبلها من الكلام)([4]).

أقسام التذييل

قسم العلماء التذييل إلى أقسام باعتبارات، فقسموه من حيث صورة وروده إلى قسمين: ما يرد في صورة المثل، وما يرد في غير صورة المثل، وقسموه من حيث دلالته إلى

---

[1] - البرهان: ٣/٦٨.

[2] _ الإتقان: ٢ / ١٩٩.

[3] - التعاريف: ١/ ١٦٨.

[4] - انظر تحرير التحبير: ١/ ٧٧، وانظر معجم المصطلحات البلاغية : ٢٣٦.

قسمين أيضا: ما يرد مؤكدا للمنطوق، وما يرد مؤكدا للمفهوم، فالتذييل قسمان:(قسم لا يزيد على المعنى الأول، وإنما يؤتى به للتوكيد والتحقيق،وقسم يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله.

..، ومما جاء من ذلك في الكتاب العزيز متضمناً القسمين معاً قوله تعالى: " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله "([1]) ففي هذه الآية الكريمة تذييلان: أحدهما قوله تعالى: " وعداً عليه حقاً " ، فإن الكلام قد تم قبل ذلك، ثم أتى سبحانه بتلك الجملة لتحقق ما قبلها، والآخر قوله سبحانه: " ومن أوفى بعهده من الله " ، فخرج هذا الكلام مخرج المثل السائر لتحقيق ما تقدمه، فهو تذييل ثان للتذييل الأول، وقد جاء في السنة من هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم: " من هم بحسنة و لم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة و لم يعملها لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة، ولا يهلك على الله إلا هالك "([2]) فقوله- (ﷺ)-: " ولا يهلك على الله إلا هالك " ، تذييل في غاية الحسن، خرج الكلام فيه مخرج المثل.)([3])

١- التوبة:١١١.

٢ - الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: ١٨٧، ١/٣٢٣.

٣ - تحرير التحبير:١/ ٧٧.

المبحث الثاني

العلاقة بين التذييل، والفاصلة، والمناسبة

هناك بعض المصطلحات القرآنية التي تتشابك مع التذييل، مثل الفاصلة والمناسبة، ومن أجل أن يتحدد مصطلح التذييل القرآني أرى أنه لابد من التفريق بينه وبين هذه المصطلحات فأقول:

الفاصلة القرآنية

عني العلماء بالحديث عن الفاصلة القرآنية وذكر أنواعها والتفريق بينها وبين بعض المصطلحات المتشابكة معها، والذي يهمنا ذكر ما يبرز الفرق بينها وبين التذييل ومواطن التداخل بينهما فنقول: (الفاصلة: كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع. وقال الداني: كلمة آخر الجملة. قال الجعبري: وهو خلاف المصطلح، ولا دليل له في تمثيل سيبويه بيوم يأت، وما كنا نبغ، وليسا رأس الآية؛ لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية. وقال القاضي أبو بكر: الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني. وفرَّق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي فقال: الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس، وكذلك الفواصل يكن رؤوس آية وغيرها، وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية.)([1])

العلاقة بين الفاصلة والتذييل

ومن هذا النص يتضح أن الفاصلة لا تكون إلا في آخر الآية عند بعضهم، أما التذييل فيكون في وسط الآية وآخرها، وتشاركه في أنها تكون متناسقة مع بداية الآية ومؤكدة لها، وهذا هو أثر التذييل، وقيمة من قيمه، فيشتركان في خاصية وينفرد التذييل بكونه يقع في نهاية الآية أو وسطها، وأنه يؤكد مضمون المعنى السابق.

المناسبة: ومن المصطلحات التي تتقاسم دلالة مع التذييل: المناسبة، وهو علم شريف القيمة، عظيم النفع، عني به علماء علوم القرآن، ورصدوه في كتاباتهم، ومنهم الزركشي في البرهان حيث يقول: (وقد أفرده بالتصنيف الأستاذ أبو جعفر بن الزبير شيخ الشيخ

[1] - انظر البرهان: ٥٣/١ ،و الإتقان: ٣٤١/١.

أبي حيان، وتفسير الإمام فخر الدين فيه شيء كثير من ذلك، واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول، والمناسبة في اللغة: المقاربة وفلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس: الوصف المقارب للحكم؛ لأنه إذا حصلت مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها)([1])

ولعلم المناسبة فوائد عدة من أهمها:(جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء ..)([2])

من ذلك يتضح أن من فوائد علم المناسبة ما يلي:

١- الترابط والتواصل بين أجزاء الكلام حتى يمهد السابق للاحق ويؤكد اللاحق السابق في تناغم واتساق.

٢- غناه باللطائف القرآنية التي لا تبين إلا من خلاله.

٣- إظهار لون من ألوان محاسن الكلام، وهو تناسقه وعدم انفصاله بعضه عن بعض.

٤- إظهار جودة السبك، ومتانة الحبك في وحدة البناء اللفظي في القرآن الكريم.

٥- إظهار براعة البيان القرآني من حيث كونه يتناول قضايا متعددة

لا يشعر القارئ فيها بانفصال، على تراخي زمن النزول، وتباين أحواله، ومع هذا لا يشعر الناظر في الآيات بانقطاع بين بعض الآيات وبعض.

والفرق بين التناسب بين الآي والسور وبين التذييل في نظري أن التذييل يعنى بالجمل والتناسب يعنى بالربط العام سواء على مستوى الآية بين أولها وآخرها أو بين الآية وأختها، أو بين السورة الواحدة، أو بين السورة وأختها، فالتذييل يقوي الربط بين الجملتين، والمناسبة تكون بين الجمل، فبينهما عموم وخصوص، يلتقيان في كون كل

---

[1] - البرهان: ١/ ٣٥، وانظر الإتقان: ١/ ٣٥٦.

[2] - البرهان: ١/ ٣٦، والإتقان/ ١/ ٣٥٧.

منهما يؤدي إلى الترابط والتناسق وينفرد التذييل بكون الترابط المرتب عليه يكون في الجمل أو الجملتين، والمناسبة تكون أعم من ذلك، فتكون بين الجملة الواحدة والجملتين والجمل والسورة الواحدة والسورتين.

المبحث الثالث

العلاقة بين التذييل وبعض المصطلحات البلاغية المتقاربة

التذييل لون من ألوان الإطناب -كما سبق، وهناك بعض المصطلحات البلاغية الأخرى التي تدخل تحت الإطناب، ولها علاقة بالتذييل، تتقاطع معه في بعض المعاني وتفارقه في بعضها، وحتى يتحرر مصطلح التذييل لابد من التفريق بينها وبينه،ومن هذه المصطلحات: الإيغال، والتكرار، والتوكيد، والاحتراس، والتعليل، والاعتراض، من هنا أقول:

الفرق بين التذييل والتعليل

والتعليل هو: (أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع، أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه، لكون رتبة العلة أن تقدم على المعلول، كقوله سبحانه: " لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم "([1])، فسبق الكتاب من الله علة في النجاة من العذاب.)([2]).

والفرق بين التعليل والتذييل أن التذييل يكون في نهاية الجملة أو وسطها، أما التعليل فيكون في أولها تمهيدا لها أو آخرها تأكيدا عليها، وقد يشتركان في موطن واحد حيث يمكن حمل المعنى على التعليل أو التذييل ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ٢٣)([3]).فوقوع إن المكسورة بعد تمام الجملة يشعر بأنها علة لها، وورود الجملة تعقيبا على أنهم مستكبرون بشيء قريب من ألفاظها يفيد التعقيب عليها لبيان المراد منها وهو لون من ألوان التذييل، وكقوله -تعالى-: (فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨)([4])، فقد ذكر الزركشي احتمال كونه من باب التعليل وقال أبو بكر القاضي إنه من التذييل ([5]).

---

[1] الأنفال:٦٨.
[2] - تحرير التحبير: ٥٨/١.
[3] - النحل: ٢٢، ٢٣.
[4] - القصص:٨.
[5] - انظر البرهان: ١٥٦/٣، ١٤٧.

الفرق بين التذييل والإيغال:

الإيغال في اللغة: الإمعان([1])، وفي الاصطلاح:(ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها، وزعم بعضهم أنه خاص بالشعر ورد بأنه وقع في القرآن من ذلك (يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون)([2]) فقوله وهم مهتدون إيغال لأنه يتم المعنى بدونه إذ الرسول مهتد لا محالة لكن فيه زيادة مبالغة في الحث على اتباع الرسل والترغيب فيه، وجعل ابن أبي الإصبع منه: (ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين)([3]) فإن قوله: (إذا ولوا مدبرين) زائد على المعنى، مبالغة في عدم انتفاعهم ...وقوله:(إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون)([4]) فقوله: (مثل ما).. إلى آخره إيغال زائد على المعنى لتحقيق هذا الوعد، وأنه واقع معلوم ضرورة لا يرتاب فيه أحد)([5])

الفرق بين التذييل والإيغال

(الإيغال لا يكون إلا في الكلمة التي فيها الروي وما يتعلق بها، وهو أيضاً مما يأتي بعد تمام المعنى كالتكميل والتذييل والإيغال والتذييل لا يكونان إلا في المقاطع دون الحشو، والإيغال والتذييل لا يخرجان عن معنى الكلام المتقدم، ... والتذييل يفارق الإيغال لكونه يزيد على الكلمة التي تسمى إيغالاً، آخذاً في البيت من الجزء الذي هو الضرب إلى أول العجز والله أعلم.)([6])

وهو(في الشعر خاصة، فلا يطلب مثله في القرآن إلا في الفواصل([7])([8])

(والتذييل أعم من الإيغال، من جهة أنه يكون في ختم الكلام وغيره، وأخص من جهة أن الإيغال قد يكون بغير الجملة، ولغير التأكيد)([9]).

ومن هذه النصوص يمكن أن نفيد في التفريق بين التذييل والإيغال ما يلي:

---

[1] - انظر: الصحاح في اللغة٢/٢٨٧.
[2] - يس: ٢٠، ٢١.
[3] - النمل:٨٠.
[4] - الذاريات:٢٣.
[5] – الإتقان:/ ١٩٨، وانظر بغية الإيضاح: ١٣٩/٢.
[6] - انظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر: ١ / ٧٧، بتصرف كبير.
[7] - انظر الكامل في اللغة والأدب: ٢٠٠/١، للمبرد.: وانظر إعجاز القرآن :٩٢/١.
[8] - إعجاز القرآن : ١ / ٩٢.
[9] - مختصر المعاني، لسعد الدين التفتازاني، ١٧٧، ١٧٨، بتصرف يسير.

١-أن الإيغال يكون في الشعر فقط عند بعضهم، والتذييل يكون في الشعر والنثر كما سبقت الأمثلة.

٢- أن الإيغال لا يكون إلا في الكلمة التي فيها الروي.

٣- أن الإيغال والتذييل يجتمعان في أنهما لا يكونان إلا في المقاطع دون الحشو.

٤- أن الإيغال والتذييل لا يخرجان عن معنى الكلام المتقدم.

٥- أن التذييل يزيد على الكلمة التي تسمى إيغالا.

٦- أن التذييل أعم من الإيغال من جهة كونه يكون في ختم الكلام وغيره، والإيغال يكون في الختم فقط.

٧- أن الإيغال يكون بغير الجملة ولغير التأكيد.

الفرق بين التذييل والاحتراس

ذكره السيوطي في النوع التاسع عشر، وعرفه بقوله: (أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم نحو: (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين)([1]) فإنه لو اقتصر على (أذلة) أوهم أنه لضعفهم فدفعه بقوله: (أعزة)، ومثله: (أشداء على الكفار رحماء بينهم)([2])، إذ لو اقتصر على (أشداء) لتوهم أنه لغلظهم..)([3]).

وقد ورد الاحتراس في أشعار العرب كثيرا ومن ذلك قولهم:

(فَسَقى دِيارَكِ -غيرَ مُفْسِدِهَا- ... صَوْبُ الربيع وديمةٌ تَهْمِي([4])

..، والشاهد فيه: هنا قوله: غير مفسدها؛ فإن نزول المطر قد يكون سبباً لخراب الدنيا وفسادها، فدفع ذلك بتوسط قوله غير مفسدها.

ومن الاحتراس قول زهير بن أبي سلمى من البسيط:

من يَلقَ يوماً (على علاَّته) هرِماً ... يلق السماحَةَ منهُ والنَّدى خُلُقا([5])

ومثله قول عنترة العبسي من الكامل:

---

[1] - المائدة: ٥٤.
[2] - الفتح: ٢٩.
[3] - الإتقان: ٣١٥/١.
[4] - انظر البيان والتبيين: ٦٩/١.
[5] - انظر طبقات فحول الشعراء: ٩/١.

أثني عليَّ بما علمت فإنني ... سَهلٌ مخَالَفتي (إذا لم أظْلم)([1]).

ومنه قول المتنبي:

أشد من الرياح الهوج بطشا (وأسرع في الندى منها هبوبا)([2])

فإنه لو اقتصر على وصفه بشدة البطش لأوهم أنه عنف كله، فأزال هذا الوهم بالشطرة الثانية)([3])

ومن الفوارق بين التذييل والاحتراس ما يلي:

١- أن التذييل يكون عن طريق المنطوق أو المفهوم، والاحتراس يكون عن طريق المنطوق.

٢- أن الاحتراس يكون بكلمة أو جملة، والتذييل يكون بجملة.

٣- أن الاحتراس والتذييل يجتمعان في كونهما يكونان في وسط الكلام وآخره.

٤- أن الاحتراس يكون لرفع إيهام متوقع، والتذييل يكون للتأكيد.

٥- أن الكلام الثاني في التكميل لا يكون بمعنى الأول بخلاف التذييل.

الفرق بين التذييل والاعتراض

الاعتراض سماه بعضهم التفاتا، وعرفه السيوطي بقوله:(هو الإتيان بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب في أثناء كلام أو كلامين اتصلا معنى لنكتة غير دفع الإيهام، كقوله: (ويجعلون له البنات- سبحانه- ولهم ما يشتهون)([4]) فقوله: (سبحانه) اعتراض بتتريه الله -سبحانه وتعالى- عن البنات والشناعة على جاعليها، وقوله (لتدخلن المسجد الحرام - إن شاء الله- آمنين)([5]) فجملة الاستثناء اعتراض للتبرك ومن وقوعه بأكثر من جملة (فائتوهن من حيث أمركم الله- إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين- نساؤكم حرث لكم)([6]) فقوله: (نساؤكم) متصل بقوله: (فائتوهن)؛ لأنه بيان له وما بينهما اعتراض للحث على الطهارة وتجنب الأدبار، .. قال الطيبي في التبيان: ووجه حسن الاعتراض

---

[1] - معاهد التنصيص على شواهد التخصيص:١٢١/١.

[2] - انظر ديوانه:١٧٠ من قصيدة مطلعها: ضروب الناس عشاق ضروبا فأعذرهم أشفهم حبيبا.

[3] - البلاغة الاصطلاحية، عبد العزيز قلقيلة، ط: دار الفكر العربي، ١٤١٧هـ / ١٩٨٧مـ ص ٢٩٧.

[4] - النحل:٥٧.

[5] - الفتح:٢٧.

٦ - البقرة: ٢٢٣.

حسن الإفادة مع أن مجيئه مجيء ما لا يترقب فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب.)([1])

(..ومنه قول الشماخ:

إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين([2]))([3]).

ويمكن أن نفرق بين التذييل والاعتراض بما يلي:

١- أن الاعتراض يأتي بعد تمام المعنى.

٢- أن الاعتراض يكون بجملة وبأقل من جملة، والتذييل يكون بجملة.

٣- الاعتراض يكون في آخر الكلام ووسطه، والتذييل لا يكون إلا في آخر الكلام، فعلى هذا التذييل أخص من الاعتراض.

٤- الاعتراض يجوز أن يكون لدفع توهم ما يخالف المقصود.

الفرق بين التذييل والتكرير:

الذي يحد به التكرير أن يقال:هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، فهذا حده الذي يميزه عن التطويل، إذ التطويل هو:زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة وأما التكرير فإنه: دلالة على المعنى مرددا، كقولك لمن تستدعيه:أسرع أسرع، فإن المعنى مردد واللفظ واحد...،وإذا كان التكرير هو إيراد المعنى مرددا فمنه ما يأتي لفائدة ومنه ما يأتي لغير فائدة، فأما الذي يأتي لفائدة فإنه جزء من الإطناب وهو أخص منه، فيقال حينئذ: إن كل تكرير يأتي لفائدة فهو إطناب وليس كل إطناب تكريرا يأتي لفائدة، وأما الذي يأتي من التكرير لغير فائدة فإنه جزء من التطويل، وهو أخص منه، فيقال حينئذ: إن كل تكرير يأتي لغير فائدة تطويل، وليس كل تطويل يأتي لغير فائدة.)([4]).

وقد كثر التكرير في أشعار العرب، ومن أمثلته لديهم قول امرؤ القيس:

كأنَّ المدامَ وصوبَ الغمامِ ... وريحَ الخزامى ونشر القطر

---

[1] - الإتقان في علوم القرآن :١ / ٣١٦.

[2] - انظر أمالي القالي: ١٣٠/١.

[3] - الإيضاح في علوم البلاغة : ١ / ٦٨.

[4] - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ١ / ١٩٥.

يعلَّ به بردُ أنيابها ... إذا غرد الطائرُ المستحر([1])

وقول الرفاء:

تغيرُ على العدى من كلّ أوبٍ ... جيادك وهي في حلبٍ صفونا)([2])

من الفوارق بين التذييل والتكرار

١- أن التكرار يكون في الجمل والكلمات، والتذييل يكون في الجمل فقط.

٢- أن أغراض التكرير تكون لنكتة زيادة المعنى، أو زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة، أو لطول الكلام، أما التذييل فيكون للتأكيد المعنوي.

وبهذه الفوارق بين التذييل وما يتقارب معه من المصطلحات البلاغية يظهر لنا مفهوم التذييل ومصطلحه مهما تداخلت بعض ألوانه مع صنوف الإطناب الأخرى لنكون منه على بينة.

المبحث الرابع

قيمة التذييل البلاغية وعلاقته بالإعجاز القرآني

---

[1] - انظر الشعر والشعراء:١٤/١.

٢ - البديع في نقد الشعر : ١ / ٤٤.

التذييل لون من ألوان الإطناب، وصورة من صوره،وحتى تبرز قيمة التذييل وأسراره البلاغية لابد من التعريج على بعض النقاط ومنها:

القرآن الكريم والبلاغة

معلوم أن البلاغة العربية نشأت في ظلال القرآن الكريم، خادمة له و مظهرة لبيانه، وكاشفة عن تميزه وإعجازه، والمتتبع لتاريخ البلاغة العربية يجد ذلك بينا أي بيان، واضحا أي وضوح، من خلال ثبت علماء البلاغة وأمثلتهم التي يعرضون لها، والبلاغة دارت في تعريف البلغاء بين الإيجاز والإطناب، حتى قال أبو هلال العسكري كما سبق: (والقول القصد أنّ الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكلّ نوع منه، ولكلّ واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ...)([1]).

ولقد حوى القرآن صور البلاغة إيجازا وإطنابا بما لا مزيد عليه، والمتتبع لآيات القرآن يجد هذا بينا لا لبس فيه ولا غموض والتذييل في موطنه له قيمة ظاهرة، لا ينكرها عاقل أو متابع للبلاغة العربية وصورها، فهو يعين على ظهور المعنى واتضاحه، وعندها تنشرح نفس السامع؛ لأنه حقق ما يصبو إليه من الفهم والوعي، (**والوعي أساس السعي**)، كما أنه يفيد توكيد المعنى المراد إظهاره، حتى عده البلغاء أحد مواضع البلاغة الثلاثة، يقول أبو هلال العسكري:(وللتذييل في الكلام موقع جليل، ومكان شريف خطير، لأن المعنى يزداد به انشراحا، والمقصد اتضاحا. وقال بعض البلغاء: للبلاغة ثلاثة مواضع، الإشارة، **والتذييل**، والمساواة. ....، فأما التذييل فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه، حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكد عند من فهمه، وهو ضدّ الإشارة والتعرض، وينبغي أن يستعمل في المواطن الجامعة، والمواقف الحافلة، لأن تلك المواطن تجمع البطيء

[1] - انظر الصناعتين: ٥٩/١،علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، ص ٢٠٣، ط: دار النهضة العربية بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

الفهم، والبعيد الذهن، والثاقب القريحة، والجيد الخاطر، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد توكد عند الذهن اللّقن، وصح للكليل البليد.)([1]).

فالتذييل وسيلة من وسائل البلاغ المبين، الذي يراعي الفهم وبطيء الفهم، واللقن ومتوسط الذكاء.

المثل والتذييل

غير خاف أن المثل صورة من صور التذييل التي يرد عليها في النثر والشعر، وبه ورد في القرآن الكريم، وللمثل قيمته التي لا ينكرها إنسان؛ لأن أثره في النفس وعمله على تقرير المعنى لا مزيد عليه، وسيأتي في الجانب التطبيقي علاقة المثل بالتذييل وأثره البلاغي في بيان مراد المتكلم.

فوائد التذييل

من قيمة التذييل وأهميته إفادته بعض الفوائد التي تترتب عليه، وقد عني المفسرون ببيان هذه الفوائد والاعتماد عليها في بيان بعض الدلالات، وكثر ذلك لدى الرازي في مفاتيح الغيب، والبقاعي في نظم الدرر، والألوسي في روح المعاني، والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، وغيرهم ومن هذه الفوائد ما يلي:

١- ترجيح بعض المعاني على بعض

ومن ذلك ترجيح الألوسي لمعنى التسبيح في قوله – تعالى-: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)([2]) بأنه تسبيح الحال لا تسبيح المقال، وأنكر على من اختار أن التسبيح مقالي لا حالي بقوله:(إن هذا التسبيح (أي المقالي) لا يحصل إلا مع العلم، وهو مما لا يتصور في الجماد لفقد شرطه العقلي وهو الحياة، ولو لم يكن ذلك شرطاً عقلياً لانسد باب العلم بكونه- سبحانه وتعالى- حياً؛ وأيضاً التذييل السابق يأبى ذلك لدلالته على أن عدم فقه التسبيح المذكور جرم، ولا شك أن عدم فقه تسبيح الجمادات بألفاظها ليس بجرم، وإنما الجرم عدم فقه دلالتها للغفلة وقصور النظر، ومن تتبع الأحاديث والآثار رأى

---

[1] - الصناعتين:١/١١٤.

[2] - الإسراء: ٤٤.

فيها ما يشهد بما ذهب إليه هذا البعض شهادة لا تكاد تقبل التأويل فقد صح سماع تسبيح الحصا في كفه صلى الله عليه وسلم)([1]) .فلقد اختار الألوسي معنى من المعاني مرجحا إياه على غيره مستندا إلى التذييل كما اتضح من كلامه.

ويحدد أن الخطاب للمؤمنين والكافرين منكرا ما ذهب إليه ابن المنير من كون الخطاب للمشركين واحتج على ابن المنير بالتذييل بقوله: (وقوله تعالى : { إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } تذييل من تتمة الإنكار على الوجه الأبلغ أي: إنه سبحانه حليم ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة لإخلالكم بالنظر الصحيح الموصل إلى التوحيد ولو تبتم ونظرتم لغفر لكم ما صدر منكم من التقصير فإنه غفور لمن يتوب ، **وظن ابن المنير أن هذا التذييل يأبى كون الخطاب للمشركين** قال: لأنه سبحانه لا يغفر لهم ولا يتجاوز عن جهلهم وإشراكهم ، والظاهر أن المخاطب المؤمنون وعدم فقههم للتسبيح الصادر من الجمادات كناية والله تعالى أعلم عن عدم العمل بمقتضى ذلك فإن الإنسان لو تيقظ حق التيقظ إلى أن النملة والبعوضة وكل ذرة من ذرات الكون يقدس الله تعالى ويترهه ويشهد بجلاله وكبريائه وقهره وعمر خاطره بهذا الفهم لشغله ذلك عن الطعام فضلاً عن فضول الأفعال والكلام والعاكف على الغيبة التي هي فاكهتنا في زماننا لو استشعر حال إفاضته فيها أن كل ذرة من ذرات لسانه الذي يلقلقه في سخط الله –تعالى– عليه مشغولة مملوءة بتقديس الله تعالى وتسبيحه وتخويف عقابه وإنذار جبروته وتيقظ لذلك حق التيقظ لكاد يبكم بقية عمره ، فالظاهر أن الآية إنما وردت خطاباً على الغالب من أحوال الغافلين وإن كانوا مؤمنين ، وليس بسديد لخروج الكلام على ذلك من النظام ، ووجه التذييل ما سمعت فلا إباء كما لا يخفى على ذوي الأفهام)([2]) .

٢– تحديد المعنى المراد

ومن ذلك اختيار الألوسي وصف الولد الذي دعا به زكريا–عليه السلام– بأنه ولد يرثه لا ليعينه أو غير ذلك من رغبات الأب في الولد، وأفاد ذلك من التذييل الوارد في الآية

---

[1] ـ تفسير الألوسي :١٠ / ص ٤٦٩

[2] ـ السابق: ٤٧٠/١٠.

الكريمة: (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ)([1]). إذ يقول: ({ وَزَكَرِيَّا } أي واذكر خبره -عليه السلام- { إِذْ نادى رَبَّهُ رَبّ لاَ تذرني فَرْداً } أي: وحيداً بلا ولد يرثني كما يشعر به التذييل بقوله تعالى: { وَأَنتَ خَيْرُ الوارثين }، ولو كان المراد بلا ولد يصاحبني ويعاونني لقيل وأنت خير المعينين، والمراد بقوله: { وَأَنتَ خَيْرُ الوارثين } وأنت خير حي يبقى بعد ميت ، وفيه مدح له تعالى بالبقاء وإشارة إلى فناء من سواه من الأحياء . وفي ذلك استمطار لسحائب لطفه عز وجل)([2])، فأنت – أعزك الله- واجد أنه حدد صفة الولد المطلوب على لسان زكريا من خلال التذييل الذي رشح له هذا المعنى، تلك فائدة من فوائد التذييل وقيمة من قيمه التي لا تنكر.

٣- رد بعض المعاني

ومن فوائد التذييل أنه يمكن الاعتماد عليه في رد بعض المذاهب الفاسدة، ومن ذلك ما ذهب إليه الألوسي في تناوله قوله – تعالى-: (تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)([3]).

فقد عرض لكلام المعتزلة عن تخليد مرتكب الكبيرة في النار ورد كلامهم بقوله:

(واستدل بعض المعتزلة بالآية – بناء على عموم العلو والفساد فيها على تخليد مرتكب الكبيرة في النار ، وفي الكشاف ما هو ظاهر في ذلك ، والتزم بعضهم في الجواب تفسير العلو والفساد بما فسرهما به الكلبي وآخر أن المراد بهما ما يكون مثل العلو والفساد اللذين كانا من فرعون وقارون . ورد بأن التذييل بقوله تعالى: { والعاقبة لّلْمُتَّقِينَ } يدل على أن العمدة هي التقوى ولا يكفي ترك العلو والفساد المقيدين. وأجيب بأن المتقي هاهنا هو المتقي من علو فرعون وفساد قارون أو من لم يكن من المؤمنين مثل فرعون في الاستكبار على الله- تعالى- بعدم امتثال أوامره والارتداع عن زواجره، ولم يكن مثل قارون في إرادة الفساد في الأرض وإخراج كل شيء من كونه منتفعاً به لاسيما نفسه فإن غاية

---

[1] - الأنبياء ٨٩.

٢ - تفسير الألوسي - ١٢ / ٤٥٧.

٣ - القصص: ٨٣.

إفسادها الامتناع من عبادة ربها لأنها خلقت للعبادة فإذا امتنع عنها خرجت عن كونها منتفعاً بها وليس معنى المتقي إلا ذلك . وتعقبه صاحب الكشف بأن الأول تقييد بلا دليل والثاني هو الذي يسعى له المعتزلي)([1])،والذي أعانه على هذا الموقف التذييل الوارد في الآية الكريمة.

وما يدل على قيمة التذييل وخدمته للنص القرآني عناية العلماء والمفسرين به، فلا يخلو كتاب من كتب البلاغة من حديث عن التذييل؛ ذلك لما له من قيمة بلاغية لا تنكر في بيان المراد وتقوية المعنى، وهذا حصر ببعض التفاسير التي عنيت بقضية التذييل عناية تطبيقية، وأدع الأرقام تتحدث فهي أصدق برهان على هذه العناية والاهتمام.

دراسة إحصائية لحديث بعض المفسرين عن التذييل

عنيت بعض كتب التفسير بإظهار قيمة التذييل وأسراره البلاغية ومن أبرز هذه الكتب: الكشاف للزمخشري، ومفاتيح الغيب للرازي، ونظم الدرر للبقاعي، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود، وروح المعاني للألوسي، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور،ولقد حرصت على حصر حديث بعض هؤلاء الأعلام عن التذييل بدراسة إحصائية لأدع الأرقام تتكلم عن مدى حرصهم على بيان التذييل بطريقة تطبيقية من خلال تناولهم للآيات القرآنية على اختلاف أبوابها، وتنوع قضاياها، وأختار نموذجين فقط لهذا الإحصاء ففيهما غنية ودلالة،وهما روح المعاني للأوسي،والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، واستخدمت في ذلك الحاسوب عن طريق المدخلات: (ذيَّل- تذييل- تذييلا- التذييل- مذيلا):

١- روح المعاني للألوسي، وقد ورد الحديث عن التذييل وتطبيقه في القرآن الكريم تسعا وستين ومائتين مرة (٢٦٩).

٢- التحرير والتنوير، وقد ورد الحديث عن التذييل وتطبيقه في القرآن في كتاب التحرير والتنوير تسع مرات وثمانمائة، (٨٠٩)، وهذا يدل على عناية المفسرين بهذا اللون من ألوان الإطناب وإبراز قيمة البيان القرآني من خلاله.

---

[1] - روح المعاني:٢١٧/١٥.

٣- وما دلت عليه الأرقام في هذين التفسيرين فيه غنية ودلالة على اهتمام المفسرين ببيان قيمة التذييل وتطبيقه على القرآن الكريم.

القسم الثاني الجانب التطبيقي

المبحث الأول

دراسة الشريحة القرآنية وعلاقتها بالتذييل

الشريحة القرآنية الكريمة التي تتناولها الدراسة هي من الآية ١٨٩ إلى ٢٠٢ من سورة البقرة، وهناك بعض الخطوات التي أرى أنه من المفيد أن نلمسها للتوصل الصحيح إلى إدراك أسرار التذييل الوارد في الآيات، ومن هذه الخطوات ما يلي:

١- **الطابع الزماني للآيات الكريمة وعلاقته بالتذييل**، فهذه آيات مدنية في سورة مدنية، وغير خاف ما تتميز به الآيات المدنية عن المكية في طبيعتها وخصائصها، وقضاياها ومفرداتها، وتراكيب ألفاظها، وطريقة معالجتها للمحاور التي تدور عليها، وسيبدو ذلك من طريقة الطرح الذي تتناوله الآيات الكريمة، سواء أعلى مستوى القضايا أم كيفية المعالجة، وطريقة التعقيب على هذه القضايا، وهو ما نسميه بالتذييل،وقد بدا من ورود ألفاظ التذييل بصيغ معينة الترابط الموجود بين الآيات بداياتها ونهاياتها، فتلحظ في عبارات التذييل في الآيات ألفاظ: (البر)(اتقى)(سبيل الله)(لا يحب)(غفور)(رحيم)(مع) (المتقين) (يحب)(المحسنين) (ياأولي الألباب)(كما هداكم)... إلى غير ذلك من الألفاظ التي يكثر ورودها في السور والآيات المدنية، فألفاظ التذييل وعباراته متناغمة مع بيئة النزول للآيات الكريمة سواء أكانت هذه البيئة زمانية أم مكانية

٢-اسم السورة وعلاقته بالقضايا المطروحة في الآيات الكريمة.

السورة كما هو معروف تسمى بسورة البقرة، وقصة البقرة ليست أطول قصة فيها ولا أخطر قضية تتناولها، وإنما هي تسمية تشي ببعض الملامح التي تعين على فهم منهج معين كان بنو إسرائيل يتحركون من خلاله، ويصدرون عنه في حركتهم وانطلاقتهم، وهو علاقتهم بالحكم والنبوة، هذا المنهج وتلك الطريقة في التصور العقدي والفكري لديهم، ينطلقون من خلاله في حركتهم في الحياة، وتعاملهم مع الأحياء، وهو أهم فيما يخص فرعون والحكم يسمعون ويطيعون طاعة عمياء، بلا

مناقشة ولا تفكير شأن العبيد مع السيد، والضعيف مع القوي لا يملك من أمر نفسه حولا ولا طولا، ولا نفعا ولا ضرا، وفيما يتعلق بتوجيهات النبوة والرسالة ، تلك التي تحتاج إلى السمع والطاعة حتى ينهض المجتمع وتستمر الأمة الناشئة في البناء والبقاء يأتي لون آخر من ألوان التعامل الشديد، معاملة من يحاسب متهما فيسألون نبيهم في كل قضية يأمرهم بها عن سبب الأمر، وهل يتخذهم هزوا ؟، فيجيبهم إجابة تشفي النفس وتزيل الغلة ومع هذا يستمرون في السؤال ما هي؟ عتوا عن الأمر وعنادا، وكبرا عن الحق وشرودا، فيجيبهم أيضا إجابة شافية كافية، ويستمر سؤالهم عن لونها، فيأتي الجواب مفصلا، فيعود سؤالهم إلى نقطة البدء مرة أخرى، والقضية ليست قضية البقرة ولونها، إنما القضية قضية منهج في التفكير والتعامل والعلاقة بينهم وبين الله والسلطان، وإذا تتبعنا ذلك الخيط في قضايا الشريحة المختارة من الآيات وجدنا فرقا شاسعا وبونا واسعا بين منهج في التفكير والتصور ومنهج، وطريقة في التعامل والعلاقة وطريقة، فالأسئلة الواردة في هذه الشريحة القرآنية وما يسبقها وما يلحقها توحي بعدد من ملامح المجتمع المسلم الذي رباه الرسول(ﷺ) في المدينة، فهم يسألون عن الشؤون التي تصادفهم في حياتهم الجديدة، ويريدون أن يعرفوا كيف يسلكون فيها، وكيف يتعاملون معها وفق هذا التغير الجديد الذي شمل العقيدة والتصور ولامس أخص خصائص حياتهم، حتى يسألوا عن حياتهم الخاصة التي لا يطلع عليها بشر، وهم العرب المعروفون بالغيرة والحمية والموت في سبيل حرماتهم، إن دل هذا على شيء فإنما يدل على امتزاج تعاليم الإسلام بحياتهم فلا يصدرون إلا عن منهاجها ولا يتحركون إلا وفق تصويرها وإرشادها، ولهذا علاقته بالتذييل الوارد في الآيات الكريمة فإنه يتناسب مع تلك الطبيعة المقبلة على الخير الحريصة على تغيير حياتها وفق تشريعات السماء وهدايات القرآن، وهو ما يلحظ من تركيبة التذييل الوارد في الآيات الكريمة مثل: (...وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(إِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَحِيمٌ) (ُ(وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) بما يدل دلالة قاطعة على علاقة التذييل بالزمان الذي يتناوله والسورة التي يكون فيها، والقضايا التي تطرحها الآيات، وموقف المتلقين لهذا البيان، حتى يكون التذييل في لحمته وسداه متناسقا متناسبا مع هذه المحاور الأساسية التي تدور عليها السورة.

المحاور التي تناولتها الآيات وعلاقتها بالتذييل

تناولت الآيات عددا من المحاور والقضايا، منها سؤال المؤمنين عن الأهلة، والإنفاق في سبيل الله، وإتمام الحج والعمرة، وإرشادهم إلى ابتغائهم من فضل الله، وحديث عن الإفاضة من عرفات، وذكر الله، وبعض أصناف الناس في منظور القرآن.

وهذه الأسئلة التي عنيت بها الآيات والقضايا المطروحة لها بالتذييل صهر ونسب، ولها دلالات محددة، فمن الدلالات التي ترشحها: أنها (**أولاً دليل على تفتح وحيوية ونمو في صور الحياة وعلاقاتها**، وبروز أوضاع جديدة في المجتمع الذي جعل يأخذ شخصيته الخاصة، ويتعلق به الأفراد تعلقاً وثيقاً؛ فلم يعودوا أولئك الأفراد المبعثرين، ولا تلك القبائل المتناثرة . إنما عادوا أمة لها كيان ، ولها نظام ، ولها وضع يشد الجميع إليه؛ ويهم كل فرد فيه أن يعرف خطوطه وارتباطاته . . وهي حالة جديدة أنشأها الإسلام بتصوره ونظامه وقيادته على السواء . . حالة نمو اجتماعي وفكري وشعوري وإنساني بوجه عام .

وهي ثانياً دليل على يقظة الحس الديني ، وتغلغل العقيدة الجديدة وسيطرتها على النفوس ، مما يجعل كل أحد يتحرج أن يأتي أمراً في حياته اليومية قبل أن يستوثق من رأي العقيدة الجديدة فيه، فلم تعد لهم مقررات سابقة في الحياة يرجعون إليها، وقد انخلعت قلوبهم من كل مألوفاتهم في الجاهلية ، وفقدوا ثقتهم بها؛ ووقفوا ينتظرون التعليمات الجديدة في كل أمر من أمور الحياة . . وهذه الحالة الشعورية هي الحالة التي ينشئها الإيمان الحق. عندئذ تتجرد النفس من كل مقرراتها السابقة وكل مألوفاتها ، وتقف موقف الحذر من كل ما كانت تأتيه في جاهليتها ، وتقوم على قدم الاستعداد لتلقي كل توجيه من العقيدة الجديدة ، لتصوغ حياتها الجديدة على أساسها

، مبرأة من كل شائبة . فإذا تلقت من العقيدة الجديدة توجيهاً يقر بعض جزئيات من مألوفها القديم تلقته جديداً مرتبطاً بالتصور الجديد. إذ ليس من الحتم أن يبطل النظام الجديد كل جزئية في النظام القديم؛ ولكن من المهم أن ترتبط هذه الجزئيات بأصل التصور الجديد، فتصبح جزءاً منه ، داخلاً في كيانه، متناسقاً مع بقية أجزائه . . كما صنع الإسلام بشعائر الحج التي استبقاها . فقد أصبحت تنبثق من التصور الإسلامي ، وتقوم على قواعده، وأنبتت علاقتها بالتصورات الجاهلية نهائياً.)([1]).

وهذه الدلالات توحي بها الأسئلة المطروحة، والقضايا المطروحة في الآيات الكريمة، فهذا التفتح الجديد وتلك الحيوية في صور الحياة الجديدة وعلاقتها بهذا الواقع الجديد ناسبه ألفاظ تحمل دلالات تعبر عنه، وتعقيبات تتناسق معه سواء أفي طريقة البناء اللغوي، أم اختيار الألفاظ الدالة على المقصود،وهذا ما اتضح بينا في تركيبات التذييل الوارد في الآيات الكريمة كما سبق بيانه من خلال عرض الألفاظ الختامية للآيات.

وإذا تأملنا الآيات الكريمة بجملتها لمحنا فيها هذا التناسق بين الصدر والعجز، والتناغم في بنائها اللغوي والتركيبي والسياقي، فلا تند كلمة عن مكانها، ولا تشذ لفظة عن بنيانها، فلكل كلمة مع أختها صهر ولكل بناء مع ما بعده رابط كالبنيان المرصوص.

وإذ قد عرفنا هذه الصورة عن الشريحة المختارة فلنعش مع أسرار التذييل فيها.

---

[1] - في ظلال القرآن :١/١٧٩، ١٨٠.

المبحث الثاني

من أسرار التذييل الوارد في صورة المثل في الآيات الكريمة

في الشريحة المختارة من الآيات الكريمة ورد عدد من التذييل المسوق في صورة المثل، وقبل الحديث عن هذه الجمل الكريمة والأسرار الواردة فيها لابد من تعريف المثل

المثل: تعريفه وعناية القرآن به

عرف الراغب الأصفهاني المثل بقوله: (أصل المثول الانتصاب، والممثل المصور على مثال غيره، يقال: مثُل الشئ أي انتصب وتصور، ومنه قوله(ﷺ): " من أحب أن يمثل له الرجال فليتبوأ مقعده من النار"([1])، والتمثال الشئ المصور وتمثل كذا تصور، قال تعالى: (فتمثل لها بشرا سويا)([2]) والمثل عبارة عن قول في شئ يشبه قولا في شئ آخر بينهما مشابهة؛ ليبين أحدهما الآخر ويصوره)([3]).

فأصل المادة تدل على التصوير والمشابهة،وتقريب المعنى.

أهمية المثل وفوائد ضربه للناس

للمثل فوائد متعددة، فقد عني به العلماء وأفردوه بالتصنيف كالإمام الماوردي، والحسن بن الفضل، والواحدي، وغيرهم، و لم يخل كتاب من كتب علوم القرآن من الحديث عن الأمثال القرآنية وأثرها، (وقد عده الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال: ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته المثبتة لاجتناب معصيته، وترك الغفلة عن الحفظ والازدياد من نوافل الفضل)([4])،

ومن فوائدها:(التذكير والوعظ والزجر والاعتبار والتقرير وترتيب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس وتأتى أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر وعلى المدح والذم وعلى الثواب والعقاب

---

[1] - الحديث في سنن أبي داود، باب : في قيام الرجال للرجل، ١٣/ ٤٦٥، ومسند أحمد بن حنبل، ٤/ ١٣٣، وقال شعيب الأرناؤوط صاحب التعليق على المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

[2] - مريم: ١٧.

[3] - مفردات غريب القرآن: ٤٦١/١.

[4] - البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٤٨٦/١.

وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر قال تعالى:(وضربنا لكم الأمثال)([1]) فامتن علينا بذلك لما تضمنت هذه الفوائد)([2]).

بالإضافة إلى ذلك فالأمثال تعين على فهم القرآن وتصور قضاياه، وتخرج المبهم إلى الواضح، والمضمر إلى المظهر، وهي أوقع في النفس وأبلغ في الوعظ، وأقوم في الإقناع، ومن أهم وسائل التربية حيث يكون لها مركوز في عقول الناس، ورصيد من ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم، فهي أعون على وصول المعنى المراد من غيرها؛ لذا اختارها القرآن وسيلة من وسائل بلاغه وبيانه، وعدها أسلوبا من أساليب تعبيره، ولها بالإعجاز النفسي رابط لا ينكر؛ فالنفس حبيبة ما تعرف عدوة ما تجهل.

وإذا انتقلنا إلى الشريحة القرآنية موضوع الدراسة وجدناها غنيت بالتذييل الوارد مورد المثل، ولنقف مع الأسرار والحكم التي يرشد إليها التذييل في هذه الآيات المباركة، واحدة، واحدة.

سر التذييل بقوله– تعالى–: (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ)([3])

يقول – تعالى–: (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ)([4])

معنى الآية الكريمة: والآية الكريمة تأمر المؤمنين بقتل المشركين المقاتلين حيث وجدوهم، وإخراجهم من حيث أخرجوهم، وتنهاهم عن قتالهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوهم فيه، فإن قاتلوهم فيه فليقاتلوهم فذلك جزاء الكافرين،والتذييل في قوله –تعالى–: (**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**)،وهي مؤكدة للجملة السابقة عليها، وأصل الفتن المحص والاختبار ومنه فتن الذهب إدخاله المحرق حتى يظهر جيده من رديئه، وهناك بعض الدلالات اللغوية للفظة الفتنة ذكرها كتب اللغة ومن خلالها يمكن أن نستنبط بعض أسرار التذييل الوارد في هذا التركيب القرآني البديع ومن هذه الدلالات:(الفَتْنُ،

---

[1] - إبراهيم: ٤٥.
[2] - البرهان في علوم القرآن: ٤٨٧/١.
[3] - البقرة: من الآية ١٩١.
[4] - البقرة:من الآية: ١٩١.

بالفتح الفَنُّ، .. والإِحْراقُ،.. وإِعْجابُكَ بالشيءِ، وفَتَنَه يَفْتِنُه فَتْناً وفُتوناً وأَفْتَنَه، والضلالُ، والإِثْمُ، والكُفْرُ، والفَضِيحَةُ، والعذَابُ، وإِذابَةُ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، والإِضْلالُ، والجُنونُ، والمِحْنَةُ، والمالُ، والأَوْلادُ، واخْتِلافُ الناسِ في الآراء.)([1])

من أسرار التذييل في الآية الكريمة

وتركيبة التذييل بهذه الصورة يمكن أن نلمح بها بعض أسرار التذييل ومنها:

١- صياغة اللفظة بهذه التركيبة الدلالية بالألف واللام التي تدل على الاستغراق والشمول والعموم،وهو ما يتناسب تماما مع طبيعة التذييل؛ إذ إن التذييل يفيد العموم، خاصة إذا ورد في صورة المثل كما هنا، (وليس المراد من الفتنة خصوص الإخراج من الديار، لأن التذييل يجب أن يكون أعم من الكلام المذيَّل)([2]).

٢- دلالة التكرار في لفظة الفتنة التي هي جزء من التذييل في الآية الكريمة، فمن خلال تتبع المادة لغويا بان أن المادة تدل على التكرار، وفي ذلك من بيان شدة الفتنة ما فيه حتى صورها القرآن بأنها أشد من القتل، ذلك أن القتل يكون ضرة واحدة فلا ألم فيه إلا مرة، أما الفتنة فتكرار وقوعها يدل على شدتها وقسوتها.(وإنما كانت الفتنة أشد من القتل لتكرر إضرارها بخلاف ألم القتل، ويراد منها أيضاً الفتنة المتوقعة بناء على توقع أن يصدوهم عن البيت أو أن يغدروا بهم إذا حلوا بمكة ، ولهذا اشترط المسلمون في صلح الحديبية أنهم يدخلون العام القابل بالسيوف في قرابها ، والمقصد من هذا إعلان عذر المسلمين في قتالهم المشركين وإلقاء بغض المشركين في قلوبهم حتى يكونوا على أهبة قتالهم والانتقام منهم بصدور حرجة حنقة)([3])

٣- ومن أسرار التذييل في الآية الكريمة ما ترشحه دلالة كلمة (الفتنة)،إذ إن الكلمة تدل كما ذكرت كتب اللغة فيما مضى على المال، وقد أخرج هؤلاء من

---

[1] - انظر لسان العرب، مادة فتن، القاموس المحيط مادة فتن.

[2] - التحرير والتنوير:٢٠٢/٢.

[3] - التحرير والتنوير: ٢٠٢/٢.

أموالهم، وتدل على الأولاد وقد حيل بين هؤلاء وبين أولادهم وفتنوا بهم من أعدائهم، وتدل الكلمة على الكفر، وقد أريد هؤلاء المؤمنون عليه، ودعوا بعد إسلامهم إليه، وتدل الكلمة على الاختبار وليس وراء ما رأوه في مكة من اختبار، وتدل على المحنة وقد محنوا ومحصوا بما لا ينكره منصف حتى مل المعذِّب و لم يمل المعذَّب،وتدل على الإذابة بالنار وقد ابتلوا بها، وما موقف خباب وأضرابه عنا ببعيد،وتدل على اختلاف الناس، وقد فرق هؤلاء المشركون وخالفوا بين الزوج وزوجه،وتدل على الضلال والصرف عن الشيء، وقد حاول هؤلاء المعتدون إضلال المؤمنين بعد اهتدائهم،وصرفهم عن الحق بعد أن وصلوا إليه، فالكلمة بغناها الدلالي تحمل من أسرار التذييل ما يبهر العقول، ويلفت الأنظار،بما لا يدع مجالا للشك لحظة أنه لن يقدر على هذا البيان إلا الله.

ويتضح من خلال هذا التركيب البياني البديع أن حرمة المسجد شديدة ولكن حرمة المسلم عند الله –تعالى– أشد، فالإنسان قبل البنيان والساجد قبل المساجد.

سر التذييل بقوله تعالى: (إن الله غفور رحيم).

يقول الله – تعالى–: (فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)([1])

والتذييل هنا الوارد في صورة المثل في قوله: (إن الله غفور رحيم)،

ومعنى الآية الكريمة: إن انتهى هؤلاء المقاتلون عن قتالكم فإن الله غفور رحيم.

ومن الأسرار في الآية الكريمة:

١– ترتيب المغفرة والرحمة من الله – تعالى– على الانتهاء، على الرغم من أن مغفرة الله ورحمته سابقة لانتهائهم، وغير مرتبة فعلا عليه،وفي هذا إغراء للمؤمنين بالعفو والمغفرة لهؤلاء الذين كفوا أيديهم وانتهوا عن مقاتلة المؤمنين.(فقوله:{ فإن الله غفور رحيم } جواب الشرط وهو إيجاز بديع؛ إذ كل سامع يعلم أن وصف الله بالمغفرة والرحمة لايترتب على الانتهاء فيعلم أنه تنبيه لوجوب المغفرة لهم إن انتهوا بموعظة وتأييد للمحذوف([2])

---

[1] - البقرة: ١٩٢.

[2] - التحرير والتنوير: ٢٠٦/٢.

٢- الدلالة على طلب المغفرة بالجملة الاسمية يفيد الدوام والاستمرار حتى يكون ذلك ديدن المؤمنين في تعاملهم مع غيرهم، (أي: فإن انتهوا عن قتالكم فلا تقتلوهم؛ لأن الله غفور رحيم ، فينبغي أن يكون الغفران سنة المؤمنين)([1]).

٣- دلالة كلمة(انتهوا) فإن المراد منها: انتهوا عن كفرهم وقتالكم ([2])، وفي ذلك من بيان سماحة الإسلام وروعة نسيان ما مضى وجَبِّ ما كان قبله، حتى يصير المقاتل بعد إسلامه أخا المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، وفي ذلك من إطماع الكافر في الإسلام ما فيه، (فالتلويح بالمغفرة والرحمة هنا يقصد به إطماع الكفار في الإيمان، لينالوا المغفرة والرحمة بعد الكفر والعدوان .وما أعظم الإسلام ، وهو يلوح للكفار بالمغفرة والرحمة ، ويسقط عنهم القصاص والدية بمجرد دخولهم في الصف المسلم ، الذي قتلوا منه وفتنوا ، وفعلوا بأهله الأفاعيل!!!)([3])

سر التذييل بقوله- تعالى-: (فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ)([4]).

يقول – تعالى-: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ)([5]).

المعنى الإجمالي للآية الكريمة: قاتلوا أيها المسلمون هؤلاء الذين يقاتلونكم، حتى لا تكون فتنة من طغيان الباطل وحزبه على الحق وجنده، فيعتل نظام الكون ويختل قانون الحياة؛ فإن الباطل إذا استشرى في الأرض حكم قانونه الناس وعندها يتنحى قانون الله من أرضه فتكون في الأرض فتنة وفساد كبير، فإن انتهوا عن قتالكم فلا عدوان إلا على الظالمين.

والتذييل في جملة(فلا عدوان إلا على الظالمين)، وهو مناسب لصدر الآية تماما؛ فإن الجملة الأولى بعد أن أدت معناها تماما أتى عجز الآية يؤكد أن قتالهم بعد انتهائهم ليس في مكانه، وأن العدوان عليهم ليس مطلوبا فالعدوان لا يكون إلا على الظالمين وهم ليسوا ظالمين.

---

[1] - التحرير والتنوير: ٢٠٦/١.
[2] - انظر جامع البيان: ٥٦٨/٣، ومعالم التنزيل: ١/ ٢١٤، لباب التأويل : ١/ ١٦٧.
[3] - في ظلال القرآن: ١/ ١٩٠.
[4] - البقرة: ١٩٣.
[5] - البقرة: ١٩٣.

ومن أسرار التذييل في الآية ما يلي:

١- حذف مفعول الانتهاء وهذا الحذف يشعر بالعموم، أي: إن انتهى هؤلاء عن كفرهم أو قتالكم ونقض الصلح معكم فلا عدوان عليهم، فـ(متعلق الانتهاء محذوف ، التقدير: عن الشرك بالدخول في الإسلام، أو عن القتال. وأذعنوا إلى أداء الجزية فيمن يشرع ذلك فيهم، أو: عن الشرك وتعذيب المسلمين وفتنتهم ليرجعوا عن دينهم ، وذلك على الاختلاف في الضمير، إذ هو عام في الكفار ، أو خاص بكفار مكة)([1])أي: (فكُفُّوا عنهم، فإنّ مَنْ قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم، ولا عُدوانَ إلا على الظالمين)(٢).

٢- وضع الظاهر (الظالمون)موضع المضمر، فلم تقل الآية فلا عدوان عليهم، وهذا يفيد تأكيد النهي عن قتالهم؛ لأن سبب قتالهم أنهم مشركون معتدون كما تدل عليه لفظة(الظالمون)، وهم الآن ليسوا مشركين وليسوا معتدين فالسبب الداعي إلى قتالهم منتف فانتفى المسبب، وهذا أبلغ في النهي عن قتالهم،(والمعنى فإن انتهوا عن قتالكم و لم يقدموا عليه فلا تأخذوهم بالظنة ولا تبدؤوهم بالقتال؛ لأنهم غير ظالمين؛ إذ لا عدوان إلاّ على الظالمين ، وهو مجاز بديع .)([3])

٣- وهذا التصريح بلفظ (الظالمين) يفيد أن آخر الكلام غير ناسخ لأوله؛ بل هو مؤكد له ومتمم لمعناه،(.. واحتيج إليه لبعد الصفة بطول الكلام ولاقتضاء المقام التصريحَ بأنهم الغايتين من القتال؛ لئلا يتوهم أن آخر الكلام نسخ أوله وأوجب قتال المشركين في كل حال .)([4]).

٤- ومن أسرار التذييل في الآية الكريمة: تسمية العقوبة عدوانا في (فلا عدوان)، (وقال أهل المعاني: العدوان الظلم، أي فإن أسلموا فلا نهب ولا أسر ولا قتل { إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ } الذين بقوا على الشرك وما يفعل بأهل الشرك من هذه الأشياء لا يكون ظلما، وسماه عدوانا على طريق المجازاة والمقابلة،)(٥)، (فإنّ الله لا يحب العُدوان على

---

[1] - البحر المحيط: ٢٢٨/٢.
[2] - تفسير القرآن العظيم: ٥٢٦/١.
[3] - التحرير والتنوير:٢٠٩/١.
[4] - التحرير والتنوير: ٢٠٩/١.
[5] - معالم التنزيل: ٢١٣/١.وانظر: مدارك التنزيل، ٩٩/١.

الظالمين ولا على غيرهم،)(١).(فإن قيل: لم سمي القتل عدواناً مع أنه في نفسه حق وصواب؟قلنا: لأن ذلك القتل جزاء العدوان فصح إطلاق اسم العدوان عليه.)(٢)

٥- ومن أسرار التذييل في الآية الكريمة: المبالغة في نفي العدوان هنا بهذه الصيغة(لا عدوان)، كأنه لا عدوان موجود (وهذا النفي العام يراد به النهي ، أي : فلا تعتدوا ، وذلك على سبيل المبالغة إذا أرادوا المبالغة في ترك الشيء عدلوا فيه عن النهي إلى النفي المحض العام ، وصار ألزم في المنع ، إذ صار من الأشياء التي لا تقع أصلاً ، ولا يصح حمل ذلك على النفي الصحيح أصلاً لوجود العدوان على غير الظالم)(٣).

من هنا بدت قيمة هذا التذييل البديع وبعض أسراره، ومن غاص في كتاب الله عاد بملء إنائه خيرا وبرا **والإمداد على قدر الاستعداد.**

سر التذييل بقوله- تعالى-: (والْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ)(٤)

يقول- تعالى: (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)(٥).

معنى الآية الكريمة

"الشهرُ الحرام" يعني: ذا القَعدة، الذي أوصَلكم الله فيه إلى حَرمَه وبيته، على كراهة مشركي قُريش ذلك، حتى قضيتم منه وَطَركم ،"بالشهر الحرام"، الذي صدكم مشركو قريش العامَ الماضيَ قَبله فيه حتى انصرفتم عن كره منكم عن الحرم، فلم تدخلوه، و لم تصلوا إلى بيت الله، فأقصَّكم الله أيها المؤمنون من المشركين بإدخالكم الحرم في الشهر الحرام على كره منهم لذلك، بما كان منهم إليكم في الشهر الحرام من الصدّ والمنْع من الوصول إلى البيت.)(٦)

---

١ - جامع البيان: ٥٧٤/١.
٢ - مفاتيح الغيب: ١٤٧/٣.
٣ - البحر المحيط: ٢/ ٢٨٢.
٤ - البقرة: ١٩٤.
٥ - البقرة: ١٩٤.
٦ - جامع البان: ٥٧٥/٣.

والتذييل في الآية الكريمة في قوله –تعالى-: (والحرمات قصاص)، حيث أتت هذه الجملة الكريمة معقبة على الجملة السابقة ومؤكدة لها.

وهذا التذييل جار مجرى المثل كما هو واضح من تركيبه، (وهو من قبيل قولهم: يوم بيوم والحرب سجال)([1]).

من أسرار التذييل في الآية الكريمة:

وقد حوى هذا التذييل كثيرا من الأسرار والحكم منها:

١- من أسرار التذييل هنا العموم والشمول في الحكم، وهذا مفاد من الجمع (الحرمات)،(وإنما قال جل ثناؤه:"والحرمات قصاص" فجمع، لأنه أراد: الشهرَ الحرام، والبلد الحرام وحُرمة الإحرام.)([2])، وهذا يتناسب مع طبيعة التذييل في دلالته على العموم، ويتناسب مع طبيعة المثل الدال أيضا على التكرار والعموم، كما يتناسب مع صدر الجملة المذيلة(الشهر الحرام بالشهر الحرام)، حيث إن الألف واللام هنا تفيد تعريف الجنس على الأظهر([3]).وفي ذلك من التناسب والتطابق بين أول الكلام وآخره ما فيه.

٢- المبالغة في التعبير، وهذا مفاد من الإخبار بالمصدر(قصاص)(فالإخبار عن الحرمات بلفظ قصاص إخبار بالمصدر للمبالغة)([4])

٣- التأكيد وإقامة الدليل على الحكم المذيل،(قصاص)،(فهو متضمن لإقامة الحجة على الحكم السابق ، كأنه قيل: لا تبالوا بدخولكم عليه عنوة، وهتك حرمة هذا الشهر ابتداء بالغلبة، فإن الحرمات يجري فيها القصاص فالصد قصاصه العنوة فإن قاتلوكم فاقتلوهم.)([5]).

٤- استخدام القاسم العقلي وهو قاسم مشترك بين الجميع، وذلك مفاد من دلالة **المثلية** في الجملة الأولى ولفظة **القصاص** في جملة التذييل، (يعني حرمة كل

---

[1] - التحرير والتنوير: ٢١٠/٢.
[2] - جامع البيان: ٥٧٩/٣. ومعالم التنزيل: ٢١٥/١، وفتح القدير: ٢٥٤/١، وزاد المسير: ١٨٤/١.
[3] - التحرير والتنوير: ٢١١/٢.
[4] - التحرير والتنوير: ٢١١/٢.
[5] - روح المعاني: ١٥٢/٢.

واحد من الشهرين كحرمة الآخر فهما مثلان ، والقصاص هو المثل فلما لم يمنعكم حرمة الشهر من الكفر والفتنة والقتال فكيف يمنعنا عن القتال)([1]).

٥- ومن أسرار التذييل في الآية الكريمة، الدلالة على العدالة التامة والمساواة الكاملة، وذلك مفاد من لفظة(قصاص) التي تدل على المثلية والمجازاة، (ومعنى كونها قصاصا أي مماثلة في المجازاة والانتصاف، فمن انتهكها بجناية يعاقب فيها جزاء جنايته)([2])

٦- الدلالة على ارتفاع قيمة الإنسان عند الله – تعالى- على قيمة الأماكن المقدسة والأزمنة المحرمة؛ (ومعنى كونها قصاصاً أي مماثلة في المجازاة والانتصاف، فمن انتهكها بجناية يعاقب فيها جزاء جنايته، وذلك أن الله جعل الحرمة للأشهر الحرم لقصد الأمن فإذا أراد أحد أن يتخذ ذلك ذريعة إلى غدر الأمن أو الإضرار به فعلى الآخر الدفاع عن نفسه؛ لأن حرمة الناس مقدمة على حرمة الأزمنة ، ويشمل ذلك حرمة المكان)(٣)، ولصاحب الظلال في ذلك كلام بديع إذ يقول: (فالذي ينتهك حرمة الشهر الحرام جزاؤه أن يحرم الضمانات التي يكفلها له الشهر الحرام . وقد جعل الله البيت الحرام واحة للأمن والسلام في المكان؛ كما جعل الأشهر الحرم واحة للأمن والسلام في الزمان . تصان فيها الدماء ، والحرمات والأموال ، ولا يمس فيها حي بسوء . فمن أبى أن يستظل بهذه الواحة وأراد أن يحرم المسلمين منها ، فجزاؤه أن يحرم هو منها . والذي ينتهك الحرمات لا تصان حرماته، **فالحرمات قصاص**)([4]).

٧- ومن أسرار التذييل هنا التسرية عن المؤمنين وتسليتهم من خلال مراعاة ميلهم واحترامهم لهذه الحرم مع خوفهم من اعتداء عدوهم عليهم فيها فأكد الله تعالى هذا المعنى بهذه المؤكدات، (وكل هذا التأكيد من الله -عز وجل- في هذه الآيات من أجل تسلية المؤمنين؛ لأن المؤمنين لا شك أنهم يحترمون الأشهر

---

[1] - مفاتيح الغيب: ١٤٩/٣.
[2] - التحرير والتنوير: ٢١١/٢.
[3] - التحرير والتنوير: ٢١١/٢. وانظر الوسيط في التفسير: ٣٢٧/١.
[4] - في ظلال القرآن: ١٩١/١.

الحرم والقتال فيها؛ ولكن الله – تعالى- سلاهم بذلك بأن الحرمات قصاص؛ فكما أنهم انتهكوا ما يجب احترامه بالنسبة لكم فإن لكم أن تنتهكوا ما يجب احترامه بالنسبة إليهم)([1])، وفي هذه الجملة من الأسرار ما يبرز قيمة التذييل ومكانته في بيان بلاغة القرآن ودلالاته التي لا تقف عند حد.

٨- كما أن من أسرار التذييل هنا بيان أن الأحكام تختلف باختلاف المقام، فقد أحل القتل في الأشهر الحرم درءا لتلاعب المشركين بها وعدوانهم على المسلمين، وفي ذلك من بيان فقه الواقع ومراعاة الأحكام ما فيه.

سر التذييل بقوله – تعالى- : (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)([2])

يقول الله-تعالى-: **(وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)**([3]).

معنى الآية الكريمة.

وفي الآية الكريمة، (يأمر تعالى عباده بالنفقة في سبيله، وهو إخراج الأموال في الطرق الموصلة إلى الله، وهي كل طرق الخير، من صدقة على مسكين، أو قريب، أو إنفاق على من تجب مؤنته.وأعظم ذلك وأول ما دخل في ذلك الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، فإن النفقة فيه جهاد بالمال، وهو فرض كالجهاد بالبدن، وفيها من المصالح العظيمة، الإعانة على تقوية المسلمين، وعلى توهية الشرك وأهله، وعلى إقامة دين الله وإعزازه، فالجهاد في سبيل الله لا يقوم إلا على ساق النفقة، فالنفقة له كالروح، لا يمكن وجوده بدونها، وفي ترك الإنفاق في سبيل الله، إبطال للجهاد، وتسليط للأعداء، وشدة تكالبهم)([4]).

والتذييل هنا متناسب مع صدر الآية حيث أمر الله-تعالى- عباده بالإنفاق في سبيل الله، وأرشدهم في الجملة التالية إلى عدم إلقاء أنفسهم في الهلاك؛ فإن البخل والنكوص عن الجهاد وأسبابه سبب من أسباب الذل في الدنيا والهلاك في الدنيا والآخرة.(والجملة

---

[1] - تفسير ابن عثيمين: ٣٠٩/٤.
[2] - البقرة: ١٩٥.
[3] - البقرة: ١٩٥.
[4] - تيسير الكريم الرحمن:٩٠.

فيها معنى التذييل، وإنما عطفت و لم تفصل باعتبار أنها غـــرض آخـــر مـــن أغـــراض الإرشاد)([1])

من أسرار التذييل في الآية الكريمة:

وقد حوى هذا التذييل عددا من الأسرار التي نلمح منها ما يلي:

١- من أسرار التذييل هنا دعوة المسلمين إلى الأخذ بالأسباب وعدم اتكالهم علـــى أنهم يعملون في سبيل الله، (فالآية من باب عطف غرض على غرض، عقَّـــب الأمر بالإنفاق في سبيل الله بالنهي عن الأعمال التي لها عواقب ضـــارة إبلاغـــا للنصيحة والإرشاد؛ لئلا يدفع بهم يقينهم بتأييد الله إياهم إلى التفريط في وسائل الحذر من غلبة العدو.)([2])

٢- ومن أسرار التذييل هنا الدلالة على المعنى بطريق آكد، حيث نهت الآيـــة عـــن إلقاء النفس في التهلكة، وعدم الإنفاق في سبيل الله صورة واحدة من صور هذا الإلقاء، (فالنهي عن الإلقاء بالنفس في التهلكة يجمع معنى الأمر بالإنفاق وغيره من تصاريف الحرب وحفظ النفوس)([3])

٣- وفي الآية نهي عن ترك الغزو وترك الإنفاق في سبيل الله بطريق بليغ؛ إذ عقبـــت على ترك الغزو والإنفاق فيه بهذا التذييل، (فهو متعلـــق بمجمـــوع المعطـــوف والمعطوف عليه نهياً عن ضدهما تأكيداً لهما)([4])

٤- الدلالة على النهي بصورة تشعر بعدم الاقتراب من أسباب المنهي عنه، فهو نهي عن التسبب، (ومعنى النهي عن الإلقاء بالنفس في التهلكة النهي عن التسبب في إتلاف النفس أو القوم عن تحقق الهلاك بدون أن يجتني المقصود)([5]).

---

[1] - التحرير والتنوير:٢/٢١٣.
[2] - التحرير والتنوير:٢/٢١٣.
[3] - التحرير والتنوير:٢/٢١٣.
[4] - روح المعاني: ٢/ ١٥٢.
[5] - التحرير والتنوير:٢/٢١٤.

٥- ومن أسرار التذييل هنا كذلك الإشارة إلى علة مشروعية الإنفاق في سبيل الله، وإلى سبب الأمر به فإن ترك الإنفاق في سبيل الله والخروج بدون عدة إلقاء باليد للهلاك.)([1])

٦- ومن أسرار التذييل هنا التعبير بلفظ التهلكة، فإن الهلاك غير التهلكة عند من فرق بينهما، (فالتهلكة ما يمكن الاحتراز عنه، والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه)([2]).

٧- العموم في دلالة النهي، وهذا مفاد من وقوع فعل { تلقوا } في سياق النهي فهو يقتضي عموم كل إلقاء باليد للتهلكة أي كل تسبب في الهلاك عن عمد فيكون منهياً عنه محرماً ما لم يوجد مقتض لإزالة ذلك التحريم، وهو ما يكون حفظه مقدماً على حفظ النفس مع تحقق حصول حفظه بسبب الإلقاء بالنفس إلى الهلاك أو حفظ بعضه بسبب ذلك. فالتفريط في الاستعداد للجهاد حرام لا محالة لأنه إلقاء باليد إلى التهلكة ، وإلقاء بالأمة والدين إليها بإتلاف نفوس المسلمين.)([3])

٨- ومن أسرار التذييل هنا بيان أن ترك الجهاد والإنفاق فيه طريق إلى الهلاك، والتارك النفقةَ في سبيل الله عند وجوب ذلك عليه، مستسلم للهلكة بتركه أداءَ فرضِ الله عليه في ماله. .. فمن ترك إنفاق ما لزمه من ذلك في سبيل الله على ما لزمه، كان للهلكة مستسلما، وبيديه للتهلكة ملقيا)(٤)

٩- عموم النهي المضمن في هذا التذييل البديع، وقد ذهب المفسرون في بيانه مذاهب شتى فمن قائل: إن التهلكة هنا الإقامة في الزرع والأولاد، ومن قائل إن التهلكة هنا عدم الإنفاق في سبيل الله ، ومن قائل إنها الإسراف في النفقة، أو السفر إلى الجهاد بغير زاد ...إلى غير ذلك وقد شمل التذييل هذه المعاني كلها، وزيادة عليها ، فسبحان من هذا كلامه.

---

[1] - التحرير والتنوير:٢/٢١٤.
[2] - معالم التنزيل: ٢/٢١٥.
[3] - التحرير والتنوير:٢/٢١٥.
[4] - جامع البيان: ٣/٥٩٣.

١٠- التعبير عن النفس بالأيدي، يدل على أن هذا الذي يسعى إلى الهلاك إنما يسعى إليه بنفسه وهو على بصر به، يقال سعى إلى حتفه بنفسه، وقال هذا الكلام بلسانه ورأيته بعيني ،(كما يقال «أهلك فلان نفسه بيده» إذا تسبب لهلاكها .)([1])وفي ذلك من التشنيع على من يصنع ذلك ما فيه.

١١- والفعل(ألقى) يتعدى بنفسه، والباء هنا للتضمين،لتأكيد الفعل.

١٢- وفي تركيبة هذا التذييل اللفظية دلالات عدة وأسرار تحتاج إلى صفحات لا يتسع المقام لذكرها، فقد تركب هذا التذييل من مفردات هي: الإلقاء- بأيديكم- التهلكة، وفي كل مفردة منها دلالة أدع صاحب نظم الدرر يبين عنها إذ يقول: ({ولا تلقوا بأيديكم}أي: تسرعوا بوضعها إسراع من يلقي الشيء بعدم الإنفاق { **إلى التهلكة**}، من **الهلاك** وهو تداعي الشيء إلى أن يبطل ويفنى فإن في ذلك الإخلاد إلى الدعة والتواكل فيجترئ عليكم العدو فلا يقوم لكم قائمة فإنّ البخل أسرع شيء إلى الهلاك ، وهي تفعلة بضم العين مصدر هلك ، .. وحقيقة أوقع **الإلقاء** لما ينفعه من نفسه وغيرها **بيده** أي بنفسه فجعل التهلكة آخذة بها مالكة لصاحبها . وقال الحرالي: إحاطة الخطاب تقتضي أن التهلكة تضييع القتال والإنفاق اللذين بتركهما تقع الاستطالة على مبنى الإسلام فيتطرق إلى هدمه)([2]).

وهذه الأسرار غيض من فيض وقل من كثر مما تتحمله الآيات الكريمة، فكل جملة وكل كلمة من القرآن لها فيضها وعطاؤها، لا تقوم كلمة مقامها ولا تؤدي لفظة مؤداها فسبحان من هذا كلامه.

سر التذييل بقوله – جل شأنه-: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)([3])

يقول – تعالى-:(وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)([4])

---

[1] - مدارك التنزيل: ١٠٠/١، وانظر النكت والعيون:١٣٩/١.
[2] - نظم الدرر: ٢٩٣/١.
[3] - البقرة: ١٩٥.
[4] - البقرة: ١٩٥.

والتذييل هنا في قوله: (إن الله يحب المحسنين)،مؤكد للجملة السابقة عليه، وهو تذييل وتعليل.

وقد شمل هذا التذييل عددا من الأسرار منها ما يلي:

١- أنه (تذييل للترغيب في الإحسان؛ لأن محبة الله عبده غاية ما يطلبه الناس إذ محبة الله العبد سبب الصلاح والخير دنيا وآخرة ، واللام للاستغراق العرفي، والمراد: المحسنون من المؤمنين)([١]). (ومن أحبه الله نال جميع ما يطلب)([٢]) .

٢ – ومن أسرار التذييل هنا التعبير بلفظ الإحسان، وهو يدل على الإجادة في الفعل والمنهاج والسلوك،(فالإحسان فعل النافع الملائم ، فإذا فعل فعلاً نافعاً مؤلماً لا يكون محسناً، فلا تقول إذا ضربت رجلاً تأديباً: أحسنت إليه ولا إذا جاريته في ملذات مضرة أَحسنت إليه، وكذا إذا فعل فعلاً مضراً ملائماً لا يسمى محسناً)([٣])، فانظر كيف دلت اللفظة الواحدة على عدد من المعاني في السيرة والفعل والكيفية.

٣- (وفي حذف متعلق { أحسنوا } تنبيه على أن الإحسان مطلوب في كل حال ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : " إن الله كتب الإحسان على كل شيء "([٤]).

٤- (وفي الأمر بالإحسان بعد ذكر الأمر بالاعتداء على المعتدي والإنفاق في سبيل الله والنهي عن الإلقاء باليد إلى التهلكة إشارة إلى أنّ كلّ هاته الأحوال يلابسها الإحسان ويحفّ بها)([٥]).

٥- ومن أسرار التذييل هنا التعبير بلفظة (يحب)(فقوله: { إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المحسنين } أبلغ من قوله إن الله (مع) ، لأن قولك : زيد يحب بني فلان أبلغ من قولك زيد مع بني فلان لأنه قد يكون معهم ولا يحبهم ، قال الله تعالى { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ})([٦])

---

[١] - التحرير والتنوير: ٢١٦/٢.
[٢] - تيسير اللطيف المنان: ٩٥/٢.
[٣] - التحرير والتنوير: ٢١٦/٢.
[٤] - التحرير والتنوير:٢١٦/٢.
[٥] - انظر الرازي: ١٥٤/٣ في هذا المعنى، وانظر التحرير والتنوير:٢١٦/٢..
[٦] - تفسير ابن عرفة: ١٤٧/١.

٦- تعدد دلالات الإحسان في هذا التذييل ومنه: الأول:(أنه عنى به الإحسان في أداء الفرائض، وهو قول بعض الصحابة، والثاني: وأحسنوا الظن بالقَدَرِ ، وهو قول عكرمة، والثالث: عُودُوا بالإحسان على مَنْ ليس بيده شيء ، وهذا قول زيد بن أسلم([1])

٧- ومن بدائع دلالات الإحسان: (ترك جميع حظوظك من غير بقية، والإحسان أيضاً تفرغك إلى قضاء حق كل أحد علَّق عليك حديثه. والإحسان أن تعبده على غير غفلة . والإحسان أن تعبده وأنت بوصف المشاهدة)([2]).

٨- ومن أسرار التذييل هنا الدلالة على (فضيلة الإِحسان لحب الله –تعالى- للمحسنين،... ومن أحبه الله أكرمه ونصره وما أهانه ولا خذله)(٣).

٩- إثبات محبة الله تعالى.

وهذا التذييل على وجازته له من الدلالة والمعنى ما يغري بالتعلق بأستاره والسير على دربه، فالإحسان في كل شيء باب إلى القبول ومدعاة إلى نيل المراد، جعلنا الله من عباده المحسنين قولا وعملا.

---

[1] - النكت والعيون:١٣٩/١.
[2] - لطائف الإشارات: ١٨٦/١.
[3] - أيسر التفاسير: ٨٩/١.

المبحث الثالث

من أسرار التذييل المؤكد للمنطوق في الآيات الكريمة

وقد ورد عدد من الآيات الكريمة مذيلة تذييلا يؤكد منطوق الآية، وقبل الحديث عن هذه التذييلات وبيان أسرارها أعرف المنطوق فأقول:

مفهوم المنطوق

(المنطوق ما دل عليه اللفظ في محل النطق،)([1]).

وقد غنيت الآيات موضوع البحث من سورة البقرة بعدد من التذييل المؤكد للمنطوق،ومن ذلك:

سر التذييل بقوله– تعالى–: (إن الله لا يحب المعتدين)([2])

قوله – تعالى–: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)([3])،

معنى الآية الكريمة

(وقاتلوا أيها المؤمنون في سبيل الله،وسبيلُه: طريقه الذي أوضحه، ودينه الذي شرعه لعباده، يقول لهم تعالى ذكره: قاتلوا في طاعتي وَعلى ما شرعت لكم من ديني، وادعوا إليه من وَلَّى عنه واستكبر بالأيدي والألسن، حتى يُنيبوا إلى طاعتي، أو يعطوكم الجزية صَغارًا إن كانوا أهل كتاب. وأمرهم –تعالى ذكره– بقتال مَنْ كان منه قتال من مُقاتِلة أهل الكفر دون من لم يكن منه قتال من نسائهم وذراريهم،)([4]).والتذييل هنا مؤكد للجملة السابقة عليه، وهو تذييل وتعليل.

ومن الأسرار التي تلمح في هذا التذييل ما يلي:

١– أن هذه الآية أول ما نزل في أمر القتال، وعليه فهي تمثل القانون الذي يحتكم إليه المسلمون في كيفية رد الاعتداء، وفي ذلك من سماحة الإسلام وعدالته مالا ينكره

---

[1] - الإتقان: ٣١/٢.
[2] - البقرة: من الآية ١٩٠.
[3] - البقر، من الآية: ١٩٠.
[4] - جامع البيان: ٣/ ٥٦٣.

منصف؛ إذ إنه في أشد المواقف وأقساها(موقف القتال والحرب) ينهى أتباعه عن الاعتداء والمجاوزة في أخذ الحق، وفي ترسيخ هذه القيمة من قيم العدالة المطلقة ما فيه.

٢- أن التذييل هنا نهى المسلمين عن الاعتداء والزيادة في أخذ الحق.

٣- أن مقاييس الأخلاق في الإسلام ثابتة لا تتغير بتغير المواقف والأفراد، عكس الأخلاق في المبادئ الأرضية أو السماوية المحرفة، فغير المسلمين كانوا يقولون (ليس علينا في الأميين سبيل)([1])، وليست الغاية عند المسلمين هي التي تبرر الوسيلة، بل لا بد أن تكون الوسيلة شريفة شرف الغاية نفسها، لا تقل في أهمية شرفها عنها، وبدا ذلك من أول قانون يوضع في مجال القتال في سبيل الله، وفي ذلك من بدائع التعبير التذييلي ما فيه.

٤- تركيبة التذييل بهذه الصورة البيانية الراقية مع مقارنتها بالطبيعة العربية التي كانت في هذه الأزمنة تتشوف للانتصار الشخصي والثأر ممن اعتدى عليها ولو من بني عمومتها وأهليهم، يدل على الإعجاز النفسي في القرآن الكريم.

٥- ومن أسرار التذييل في هذه الآية الكريمة إثبات محبة الله- تعالى- لبعض خلقه، وهذا مفاد من قوله – تعالى-: (إن الله لا يحب المعتدين)؛(ووجه الدلالة: أنه لو كان لا يحب أبداً ما صح أن ينفي محبته عن المعتدين فقط؛ فما انتفت محبته عن هؤلاء إلا وهي ثابتة في حق غيرهم.)([2])

٦- ومن أسرار التذييل في الآية الكريمة: التشنيع على المعتدين، وذلك مفاد من حرمانهم من حب الله – تعالى- لهم، وهو عقوبة يدركها الصادقون من عباد الله.

٧- ومن أسرار التذييل هنا كذلك حسن تعليم الله – تعالى-؛ حيث يصوغ الله – عز وجل- المعنى المراد في صورة المثل وفي ذلك من رسوخ المعنى في ذهن السامع ما فيه، وقرن الحكم بالحكمة يسهل على السامع قبوله والنزول على أمره.

---

[1] - آل عمران: ٧٥.

[2] - تفسير ابن عثيمين:٣٠٢/٤.

٨- ومن أسرار التذييل في الآية الكريمة ورود لفظ الجلالة فيها وتعليق عدم محبته -تعالى- على الاعتداء، وترتيب عدم المحبة على الاعتداء مشعر بخطورة هذا الاعتداء الذي يقف حجابا بين المؤمن -حاشاه- وبين حب الله له وإيراد لفظ الجلالة بما يدل عليه من الحكمة والعدالة المطلقة التي لا يرضى سبحانه بالاعتداء ولو من أوليائه على أعدائه مالا يؤديه لفظ آخر.

سر التذييل بقوله: (واعلموا أن الله مع المتقين)([1])

يقول- تعالى-:(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين)([2])

ومعنى الآية الكريمة: (واتقوا الله أيها المؤمنون في حُرُماته وحدوده أن تعتَدُوا فيها، فتتجاوزوا فيها ما بيَّنه وحدَّه لكم، واعلموا أن الله يُحب المتقين، الذين يتقونه بأداء فَرائضه وتجنب محارمه)([3]).

والتذييل في الآية الكريمة في قوله-تعالى-: (واعلموا أن الله مع المتقين)، وهو تذييل مؤكد للمنطوق، وقد جاء الأمر بالتقوى في ذيل الآية هنا متناسبا ومعقبا على إباحة الاعتداء بمثل نوعه، في صدر الآية ومقويا لها أي تقوية.

من أسرار التذييل في الآية الكريمة:

وقد حوى هذا التذييل عددا من الأسرار البديعة ومن أهمها ما يلي:

١- براعة الاستهلال ولفت أنظار السامعين في افتتاح الكلام بقوله: (واعلموا)،(ففيه إيذان بالاهتمام بما سيقوله، فإن قولك في الخطاب(اعلم) إنباء بأهمية ما سيلقى للمخاطب)([4]).

٢- وافتتاح الكلام باعلموا فيه حث للمخاطبين على التأمل فيما بعده، وذلك من أساليب الكلام البليغ أن يفتتح بعض الجمل المشتملة على خبر أو طلب، فهم باعلم أو تعلم لفتا لذهن المخاطب.([1])

---

[1] - البقرة: من الآية ١٩٤.
[2] - البقرة: من الآية ١٩٤.
[3] - جامع البيان: ٥٨٢/٣.
[4] - التحرير والتنوير: ٢١١/٢.

٣- تصدير الكلام المشتمل على خبر كما هنا بمثل هذا اللفظ الكريم فيه تعريض بعدم معرفة المخاطب قيمة ما يؤمر به وشدة حاجته إليه، (فالتصريح بالفعل الدال على طلب العلم مقصود للاهتمام)([٢]).

٤- وقوع التذييل بهذا التركيب بعد إباحة الاعتداء على من اعتدى يدل على حسن التعامل مع النفس البشرية وإدراك طبيعتها وما جبلت عليه من عدم الوقوف عند حد في الغالب عند تحصيل ما لها، (فإن النفوس لما كانت في الغالب لا تقف على حدها إذا رخص لها في المعاقبة لطلبها التشفي، أمر تعالى بلزوم تقواه، التي هي الوقوف عند حدوده وعدم تجاوزها)([٣]).

٥- الجمع بين الأمر بالتقوى والإخبار بمعية الله للمتقين،وفي ذلك من الجمع بين المرغوب والتخويف من المرهوب ما فيه؛ (فمن كان الله معه حصل له السعادة الأبدية، ومن لم يلزم التقوى تخلى عنه وليه وخذله، فوكله إلى نفسه، فصار هلاكه أقرب إليه من حبل الوريد)([٤]).

٦- يدل التذييل هنا على إعانة الله للمتقين، (فالمعية هنا مجاز الإعانة والنصر والوقاية)([٥])، وهو — تعالى- (يعين من اتقى الاعتداء)([٦]).

٧- وفي التذييل من دلائل الربوبية أنه — سبحانه- ينهى أولياءه في حال انتصارهم عن المجاوزة في الانتصاف من أعدائه، أي اتقوا الله (في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم ، فلا تعتدوا إلى ما لا يحلّ لكم.)([٧]).

٨- ومن أسرار التذييل هنا بيان فضيلة التقوى؛ إذ وردت معية الله-تعالى- للعبد مرتبة على التقوى، حيث أسندت المعية إلى المشتق (مع المتقين)، وهذا يشعر بأن التقوى سبب معية الله للمتقين،(حيث ينال العبد بالتقوى معية الله؛ فإنه من

---

[١] - التحرير والتنوير: ٢١١/٢.
[٢] - التحرير والتنوير: ٩/ ٣١٤.
[٣] - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٩٠.
[٤] - الموضع السابق.
[٥] - التحرير والتنوير: ٢١٢/٢، وتفسير المنار:١٧١/١.
[٦] - بحر العلوم: ١/ ١٦٦.
[٧] - الكشاف:١٧٠/١.

المعلوم إذا كان الله معك ينصرك، ويؤيدك، ويثبتك فهذا يدل على فضيلة السبب الذي هو التقوى)([1]).

سر التذييل بقوله – تعالى– : (فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)([2])

يقول الله –تعالى– : (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)([3]).

والآية الكريمة فيها تذييلان، الأول في قوله: (فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)،(فهي بمنزلة التذييل، أي: التقوى من التزود للسفر فكونوا عليها أحرص... أو التقوى أفضل من التزود للسفر)([4]) وهو مؤكد لمنطوق الجملة قبله: (وتزودوا)،والثاني في قوله: (وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)([5])، وهو مؤكد لمنطوق الآية أيضا.وقبل أن نتناول أسرار التذييلين نعقل ما استطعنا معنى الآية الكريمة التي حوتهما.

معنى الآية الكريمة.

ومعنى الآية الكريمة: (وقت الحج أشهر معلومات، وهي: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة. فمن أوجب الحج على نفسه فيهن بالإحرام، فيحرم عليه الجماع ومقدماته القولية والفعلية، ويحرم عليه الخروج عن طاعة الله تعالى بفعل المعاصي، والجدال في الحج الذي يؤدي إلى الغضب والكراهية. وما تفعلوا من خير يعلمه الله، فيجازي كلا على عمله. وخذوا لأنفسكم زادًا من الطعام والشراب لسفر الحج، وزادًا من صالح الأعمال للدار الآخرة، فإن خير الزاد تقوى الله، وخافوني يا أصحاب العقول السليمة.)([6])

---

[1] - تفسير ابن عثيمين: ٣١٢/٤.
[2] - البقرة: من الآية:١٩٧.
[3] - البقرة: ١٩٧.
[4] - التحرير والتنوير: ٢٣٦/٢.
[5] - البقرة: من الآية:١٩٧.
[6] - التفسير الميسر: ٢١١/١.

من أسرار التذييل في الآية الكريمة.

أفاد هذا التذييل عددا من الأسرار منها ما يلي:

١- من أسرار التذييل هنا: (الإشارة إلى تأكيد الأمر بالتزود تنبيها بالتفريع على أنه من التقوى لأن فيه صيانة ماء الوجه والعرض)([١])

٢- ومن أسرار التذييل هنا بيان التوازن في حياة المسلم؛ فإنه-تعالى- (لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم إلى زاد الآخرة، وهو استصحاب التقوى إليها،كما قال:{وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ}([٢]).

٣- ومن أسراره الإتيان بخبر إن ظاهرا تفخيما وتعظيما،مع حذفه من الجملة المذيَلة (وتزودوا) (ليدل على أن المحذوف هو هذا الظاهر، ولو لم يحذف المفعول لأتي به مضمراً عائداً على المفعول ، أو كان يأتي ظاهراً تفخيماً لذكر التقوى ، وتعظيماً لشأنها)([٣]).

٤- ومن أسرار التذييل هنا:(الحث على التزود من الخير)([٤])

٥- ومنها: أنه ينبغي للحاج أن يأخذ معه الزاد الحسيّ من طعام، وشراب، ونفقة، لئلا يحتاج في حجه، فيتكفف الناس)([٥]).

٦- (ومنها: أن التقوى خير زاد، كما أن لباسها خير لباس)([٦]).

وهكذا يأتي هذا التذييل حاملا تلك المعاني البديعة تتناسب ألفاظه مع ما قبلها، سواء في صدر الآية أو في وسطها، ويأتي (خير الزاد)متناسبا مع (وما تفعلوا من خير) وكان متوقعا أن يقال: وما تفعلوا (من شيء)؛ ليعم الخير والشر،ولكن أتى بهذه الصيغة تناسبا مع ما بعده ودلالة على أن رحمة الله تسبق غضبه، وتأتي: (التقوى) متناسبة مع (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال)، فسبحان من هذا كلامه.

---

[١] - التحرير والتنوير: ٢٣٦/٢.
[٢] - تفسير القرآن العظيم: ١/ مفاتيح الغيب: ١٨٥/٣، وتفسير النيسابوري: ٤٨٦/١.والآية ٢٦ من سورة الأعراف.
[٣] البحر المحيط: ٢/ ٢٦١. وانظر روح المعاني:١٦٥/٢.
[٤] - تفسير ابن عثيمين: ٣٣٦/٤.
[٥] - ابن عثيمين: ٣٣٦/٤.
[٦] - ابن عثيمين: ٣٣٧/٤.

سر التذييل بقوله –تعالى–: (و اتقون يا أولي الألباب)

معنى هذا التذييل:

(واتقون يا أهل العقول والأفهام بأداء فرائضي عليكم التي أوجبتها عليكم في حجكم ومناسككم وغير ذلك من ديني الذي شرعته لكم، وخافوا عقابي باجتناب محارمي التي حرمتها عليكم، تنجوا بذلك مما تخافون من غضبي عليكم وعقابي، وتدركوا ما تطلبون من الفوز بجناتي.)([1])

والتذييل هنا مؤكد لمنطوق الجملة السابقة (فإن خير الزاد التقوى)، فالغرض منه التأكيد.

من أسرار التذييل هنا

شمل التذييل هنا عددا من الأسرار منها ما يلي:

١- من أسرار هذا التذييل (التأكيد للجملة السابقة عليه)([2]).

٢- ومن أسرار التذييل هنا الدلالة على فضل أصحاب العقول؛فقد(خص –جل ذكره– بالخطاب بذلك أولي الألباب، لأنهم هم أهل التمييز بين الحق والباطل، وأهل الفكر الصحيح والمعرفة بحقائق الأشياء التي بالعقول تدرك وبالألباب تفهم، و لم يجعل لغيرهم من أهل الجهل في الخطاب بذلك حظا)([3]).

٣- ومن أسرار التذييل هنا عموم الأمر بالتقوى لكل ما مضى في الآية، فجاء قوله: ({ واتقون } أمرا بخوف الله تعالى، ولما تقدم ما يدل على اجتناب أشياء في الحج ، وأمروا بالتزود للمعاد ، وأخبر بالتقوى عن خير الزاد ، ناسب ذلك كله الأمر بالتقوى ، والتحذير من ارتكاب ما تحل به عقوبته)([4]).

٤- ومن أسرار التذييل التنبيه على المراد بذكر أولي الألباب؛(تحريكاً لامتثال الأمر بالتقوى ، لأنه لا يحذر العواقب ، إلاَّ مَن كان ذا لبٍّ ، فهو الذي تقوم عليه

---

[1] - جامع البيان: ١٦١/٤.
[2] - انظر التحرير والتنوير:٢٣٦/٢.
[3] - جامع البيان: ١٦١/٤.
[4] - البحر المحيط: ٢٦١/٢.

حجة الله ، وهو القابل للأمر والنهي ، وإذا كان ذو اللب لا يتقي الله ، فكأنه لا لب له)([1])

٥- ومن أسرار التذييل هنا إقامة الحجة على المخاطب ببعض ما أوتي،(فكأنه تعالى قال: لما ثبت أن خير الزاد التقوى فاشتغلوا بتقواي يا أولي الألباب، يعني إن كنتم من أرباب الألباب الذين يعلمون حقائق الأمور وجب عليكم بحكم عقلكم ولبكم أن تشتغلوا بتحصيل هذا الزاد لما فيه كثرة المنافع)(٢).

٦- ومن أسرار التذييل البديعة هنا: التعبير بالألباب مع الأمر بالتقوى فإن التقوى هي لب كل شيء ومفاده فهي من العمل بمنزلة اللب من الإنسان، (ولما كانت قضية اللب خشية الله وتقواه ، حثهم على التقوى)([3]). ف(قضية العقل تقوى الله ومن لم يتقه فلا لب له في التحقيق .)([4])

٧- ومن أسرار هذا التذييل أيضا الإشارة إلى إخلاص المراد من شوائب الهوى، وهو مفاد من التعبير باللب الذي هو خلاصة العقل،(فأمرهم بأن يكون المقصود بالتقوى(واتقون) هو الله – تعالى- فيتبرأ من كل شيء سواه، وهو مقتضى العقل المعري عن شوائب الهوى فلذلك خص أولي الألباب بهذا الخطاب)(٥).يقول صاحب الظلال: (والتقوى زاد القلوب والأرواح، منه تقتات، وبه تتقوى وترف وتشرق، وعليه تستند في الوصول والنجاة. وأولوا الألباب هم أول من يدرك التوجيه إلى التقوى ، وخير من ينتفع بهذا الزاد)([6]).

٨- بيان أن الإمداد على قدر الاستعداد، والتكليف على قدر الوسع والطاقة، لذلك قيل إذا أخذ ما وهب أسقط ما أوجب، (فإن الله تعالى أمرهم أن يتقوه على مقدار طاقات عقولهم بما خصهم به من نور الهداية بذاته ، والقبول منه ، وإفرادهم بالمعنى الذي ركبه فيهم ، وعلمه بهم قبل خلقهم ، فذكرهم تلك

---

[1] - البحر المحيط: ٢٦١/٢.
[2] - مفاتيح العلوم:١٨٥/٣.
[3] - أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٣١/١
[4] - تفسير النيسابوري:٤٨٦/١. والكشاف: ١٧٦/١.
[5] - أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٣١/١.
[6] - في ظلال القرآن: ١٩٧/١.

النعمة عليهم، ودعاهم بتلك النعمة التي سبقت لهم إلى الاعتراف بنعمة ثانية بعد الموهبة الأزلية ، وهي حقيقة المعرفة ، وقبول العلم بالعمل خالصاً له)([1]).

٩- ومن أسراره بيان (أن أصحاب العقول هم أهل التقوى وأنه كلما نقص الإنسان من تقوى الله كان ذلك دليلاً على نقص عقله - عقل الرشد)([2]).

سر التذييل بقوله – تعالى-: (واذكروه كما هداكم)

يقول الله –تعالى-: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ)([3]).

معنى الآية الكريمة:

ومعنى الآية الكريمة: ({ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ } في { أَن تَبْتَغُواْ } تطلبوا { فَضْلاً } رزقاً { مّن رَّبّكُمْ } بالتجارة في الحج نزل رداً لكراهتهم ذلك { فَإِذَا أَفَضْتُم } دفعتم { مِّنْ عرفات } بعد الوقوف بها { فاذكروا الله } بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء { عِندَ المشعر الحرام } هو جبل في آخر المزدلفة يقال له (قُزَح)،{ واذكروه كَمَا هَدَاكُمْ } لمعالم دينه ومناسك حجه والكاف للتعليل { وَإِن } مخففة {كُنتُمْ مّن قَبْلِه} قبل هداه { لَمِنَ الضالين })([4]).

وجملة التذييل هنا هي: (واذكروه كما هداكم)، وهي تذييل وتعليل، مؤكد لمنطوق الجملة السابقة عليه، (الواو عاطفة على قوله :{ فاذكروا الله عند المشعر الحرام } والعطف يقتضي أن الذكر المأمور به هنا غير الذكر المأمور به في قوله : { فاذكروا الله عند المشعر الحرام } فيكون هذا أمراً بالذكر على العموم بعد الأمر بذكر خاص فهو في معنى التذييل بعد الأمر بالذكر الخاص في المشعر الحرام ويجوز أن يكون المراد من هذه الجملة هو قوله: {كما هداكم}فموقعها موقع التذييل . وكان مقتضى الظاهر ألا تعطف

---

[1] - تفسير التستري :٤٢/١.
[2] - تفسير ابن عثيمين: ٣٣٧/٤.
[3] - البقرة: ١٩٨.
[4] - تفسير الجلالين: ٤٢.

بل تُفْصَل وعدل عن مقتضى الظاهر فعطفت بالواو باعتبار مغايرتها للجملة التي قبلها بما فيها من تعليل الذكر وبيان سببه)(١)

أسرار التذييل في الآية الكريمة

شمل هذا التذييل عددا من الأسرار منها ما يلي:

١- بيان نعمة الله على عباده ففيه: (تنبيه لهم على ما أَنْعَم به عليهم، من الهداية والبيان والإرشاد إلى مشاعر الحج، على ما كان عليه إبراهيم الخليل، عليه السلام)([٢]).

٢- بيان أن النعمة تستوجب الشكر، وهذا مفاد من ترتيب الأمر على الهداية(واذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حج بيته)([٣]).

٣- في تقييد الذكر بقوله: (كما هداكم) بيان أن المراد بالذكر ذكر على نحو خاص(أي: اذكروه على ذلك النحو ولا تعدلوا عنه)([٤]).(فالذكر المشروع ما وافق الشرع)([٥])

٤- ومن أسرار التذييل هنا طلب الذكر اللائق بكمال الله – تعالى–، وهذا على كون الكاف هنا للتشبيه، يقول الألوسي: (ويحتمل أن يراد مطلق الهداية ومفاد التشبيه التسوية في الحسن والكمال أي: اذكروه ذكراً حسناً كما هداكم هداية حسنة إلى المناسك وغيرها)(٦).

٥- ومن أسرار التذييل هنا (التوكيد والمبالغة في الأمر بالذكر ، لأن الذكر من أفضل العبادات أو اتصال الذكر لمعنى : اذكروه ذكراً بعد ذكر)([٧]).

---

[١] - التحرير والتنوير: ٢٤١/٢.
[٢] - تفسير القرآن العظيم: ١/
[٣] - معالم التنزيل: ٢٣٠/١.
[٤] - روح المعاني:١٦٨/٢.
[٥] - تفسير ابن عثيمين: ٣٤٢/٤.
[٦] - روح المعاني : ١٦٨/٢.
[٧] - البحر المحيط: ٢٦٧/٢. بتصرف، وانظر زاد المسير: ١٩١/١.

٦- ومن أسرار التذييل هنا أنه(ذكرهم بحال ضلالهم ليظهر قدر الإنعام)([1])(فالتذكير بالنعم بذكر الحال، وبذكر الكمال بعد النقص مما يوجب للإنسان أن يزداد من شكر نعمة الله عليه.)([2]).

٧- ومنها بيان منة الله علينا بالقرآن، وهذا مفاد من كون الضمير(من قبله) للقرآن، أي:(واذكروه كما هداكم بكتابه الذي بين لكم معالم دينه، وإن كنتم من قبل إنزاله ذلك عليكم من الضالين)([3])

وهكذا يحوي هذا التذييل البديع تلك المنن العالية والمنح الغالية التي تحتاج إلى إعمال فكر وإمعان عقل حتى يفيد منها المسلم وينهل من فيضها.

سر التذييل بقوله_ جل شأنه_: (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)([4])

يقول – تعالى-: (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)([5])

معنى الآية الكريمة: ومعنى الآية الكريمة: (وليكن اندفاعكم من "عرفات" التي أفاض منها إبراهيم عليه السلام مخالفين بذلك من لا يقف بها من أهل الجاهلية، واسألوا الله أن يغفر لكم ذنوبكم. إن الله غفور لعباده المستغفرين التائبين، رحيم بهم.)([6]).

وجملة التذييل هنا هي قوله – تعالى-: (**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)، وهي مؤكدة لمنطوق الجملة السابقة عليها ومعللة لها.

من أسرار التذييل في الآية الكريمة:

ومن أسرار التذييل في الآية الكريمة ما يلي:

١- قصور فعل العبد مهما بذل بدليل طلب استغفاره بعد العبادة.

٢- (أنه يشرع أن يستغفر الله -عزّ وجلّ- في آخر العبادات)([7]).

---

[1] - المحرر الوجيز: ٢٢٢/١.
[2] - تفسير ابن عثيمين: ٣٤٢/٤.
[3] - مفاتيح الغيب: ١٩٧/٣.
[4] - البقرة: ١٩٩.
[5] - البقرة: ١٩٩.
[6] - التفسير الميسر: ١/ ٢١٣.
[7] - تفسير ابن عثيمين: /٣٤٥.

٣- (إثبات اسمين من أسماء الله؛ وهما: «الغفور» ، و «الرحيم» ؛ وإثبات ما تضمناه من الصفة؛ وهي المغفرة، والرحمة؛ وإثبات ما تضمناه من الحكم بمقتضاهما؛ وهو أنه يغفر ويرحم)(١)

٤- (قرن الحكم بالعلة؛ لقوله تعالى: {واستغفروا الله إن الله غفور رحيم}؛ وقرن الحكم بالعلة في مثل هذا يفيد الإقدام، والنشاط على استغفار الله عزّ وجلّ)(٢) وهكذا يشمل هذا التذييل تلك الأسرار التي توحي بربانية هذا القرآن الكريم، وعظمة قائله.

---

١ - تفسير ابن عثيمين:٤/٣٤٥.

٢ - تفسير ابن عثيمين:٤/٣٤٥.

المبحث الرابع

من أسرار التذييل المؤكد للمفهوم في الآيات الكريمة

والمفهوم ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق، وهو قسمان: مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة)(١)

ومن التذييل المؤكد للمفهوم في الآيات المختارة ما يلي:

سر التذييل بقوله – تعالى–(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(٢).

يقول الله – تعالى– :

(وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)(٣).

معنى الآية الكريمة:

(أدُّوا الحج والعمرة تامَّيْنِ، خالصين لوجه الله تعالى.، فإن منعكم عن الذهاب لإتمامهما بعد الإحرام بهما مانع كالعدو والمرض، فالواجب عليكم ذَبْحُ ما تيسر لكم من الإبل أو البقر أو الغنم تقربًا إلى الله تعالى؛ لكي تَخْرُجوا من إحرامكم بحلق شعر الرأس أو تقصيره، ولا تحلقوا رؤوسكم إذا كنتم محصرين حتى ينحر المحصر هديه في الموضع الذي حُصر فيه ثم يحل من إحرامه، كما نحر النبي (ﷺ) في "الحديبية" ثم حلق رأسه، وغير المحصر لا ينحر الهدي إلا في الحرم، الذي هو محله في يوم العيد، اليوم العاشر وما بعده من أيام التشريق. فمن كان منكم مريضًا، أو به أذى من رأسه يحتاج معه إلى الحلق –وهو مُحْرِم– حَلَق، وعليه فدية: بأن يصوم ثلاثة أيام، أو يتصدق على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام، أو يذبح شاة لفقراء الحرم. فإذا كنتم في أمن وصحَّة:

---

١ - الإتقان:٣٢/٢.
٢ - البقرة: من الآية ١٩٦.
٣ - البقرة: ١٩٤.

فمن استمتع بالعمرة إلى الحج وذلك باستباحة ما حُرِّم عليه بسبب الإحرام بعد انتهاء عمرته، فعليه ذبح ما تيسر من الهدي، فمن لم يجد هَدْيًا يذبحه فعليه صيام ثلاثة أيام في أشهر الحج، وسبعة إذا فرغتم من أعمال الحج ورجعتم إلى أهليكم، تلك عشرة كاملة لا بد من صيامها. ذلك الهَدْيُ وما ترتب عليه من الصيام لمن لم يكن أهله من ساكني أرض الحرم، وخافوا الله تعالى وحافظوا على امتثال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره، وارتكب ما عنه زجر.)([1]).

والتذييل في الآية الكريمة مؤكد لمفهوم الآية، ومتناسب مع صدرها، فإن من خاف أتى بالشيء على وجهه المقرر.

من أسرار التذييل في الآية الكريمة:

حوى هذا التذييل عددا من الأسرار من أبرزها ما يلي:

١- من أسرار التذييل هنا مجيئه بصورة التخويف؛ لأن المأمور به يحتاج إلى تأهب النفس ونشاطها، (ولما كان من الأوامر ما هو معقول المعنى ومنها ما هو تعبدي وكان عقل المعنى يساعد على النفس في الحمل على امتثال الأمر ناسب اقتران الأمر به بالترغيب .. ولما كان امتثال ما ليس بمعقول المعنى ...شديداً على النفس مع جماحها عن جميع الأوامر ناسب اقترانه بالتهديد فكان ختامه بقوله : { واتقوا } أي فافعلوا جميع ذلك واحملوا أنفسكم على التحري فيه والوقوف عند حدوده ظاهراً وباطناً)([2]).

٢- ومن أسرار التذييل هنا الأمر بالتقوى، والتصريح بالاسم الكريم(الله) وتكراره؛ دفعا لتوهم الإضمار فقال:({واتقوا الله } أي: اجعلوا بينكم وبين غضب هذا الملك الأعظم وقاية وأكد تعظيم المقام بالأمر بالعلم وتكرير الاسم الأعظم ولئلا يفهم الإضمار تقييد شديد عقابه بخشية مما مضى)([3])

---

[1] - التفسير الميسر: ٢١٠/١.
[2] - نظم الدرر: ٢٩٧/١.
[3] - نظم الدرر: ٢٩٧/١.

٣- (وهذا هو الموجب للتقوى، فإن من خاف عقاب الله، انكف عما يوجب العقاب، كما أن من رجا ثواب الله عمل لما يوصله إلى الثواب، وأما من لم يخف العقاب، و لم يرج الثواب، اقتحم المحارم، وتجرأ على ترك الواجبات.)([1])

ولصاحب الظلال هنا كلام بديع إذ يقول: (وهذه الأحكام ضمان القيام بها هو هذه التقوى ، وهي مخافة الله ، وخشية عقابه . والإحرام بصاحبه تحرج . فإذا أباح لهم الإحلال فترة أقام تقوى الله وخشيته في الضمير ، تستجيش فيه هذا التحرج ، وتقوم بالحراسة في انتباه!)([2])

٤- ومن أسرار التذييل هنا الأمر بالعلم إشعارا بأن العلم يورث الخوف فقال:{واعلموا}(تنبيهاً على أن الباعث على المخافة إنما هو العلم،{ أن الله } أي: الذي لا يداني عظمته شيء { شديد العقاب }، وهو الإيلام الذي يتعقب به جرم سابق؛ هذا مع مناسبة هذا الختام لما بعده من النهي عن الرفث وما في حيزه ، ومن تدبر الابتداء عرف الختم ومن تأمل الختم لاح له الابتداء.)([3]).

٥- ومن أسرار هذا التذييل: (أن العلم بشدة عقوبة الله من أهم العلوم؛ ولهذا أمر الله سبحانه وتعالى به بخصوصه؛ لأنه يورث الخوف من الله، والهرب من معصيته.)([4]).

٦- ومن أسراره بيان(أن العقوبة على الذنب لا تنافي الرحمة؛ إذ من المعلوم أن رحمة الله سبقت غضبه؛ لكن إذا عاقب من يستحق العقاب فإن ذلك من رحمة المعاقب؛ لأن هذه العقوبة إن كانت في الدنيا فهي كفارة له؛ وإن كانت في الآخرة فما دون الشرك أمره إلى الله: إن شاء عذب؛ وإن شاء غفر)([5]).

٧- ومن أسراره بيان (أن شدة العقاب من كمال المعاقِب، وبسط قوته، وسلطانه؛ ولا يوصف الله سبحانه وتعالى إلا بالكمال؛ بل أمَرَنا أن نعلم ذلك في قوله تعالى:

---

[1] - تيسير الكريم الرحمن: ٩١.
[2] - في ظلال القرآن: ١٩٦/١.
[3] - نظم الدرر: ٢٩٧/١.
[4] - ابن عثيمين: ٤م٣٣٠.
[5] - ابن عثيمين: ٣٣٠/٤.

{اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم}([1])؛ إذاً فإذا عاقبت ولدك بما يستحق، وكانت الجناية كبيرة، فأكبرت العقوبة فإنك تُحمَد، ولا تذم؛)([2])

لقد حفل هذا التذييل شأنه شأن آيات الكتاب الكريم بعدد من الدلالات لا تسعها الورقات المحدودة والأيام المعدودة، فجل من حوى كلامه هذه المعاني.

سر التذييل بقوله – جل شأنه–: (وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)([3])

يقول الله – تعالى–: (أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)([4]).

معنى الآية الكريمة:

("أولئك" الذين يقولون بعد قضاء مناسكهم:" ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وَقِنا عذاب النار"، رغبةً منهم إلى الله جل ثناؤه فيما عنده، وعلمًا منهم بأن الخيرَ كله من عنده، وأن الفضل بيده يؤتيه من يَشاء. فأعلم جل ثناؤه أنّ لهم نصيبًا وحظًّا من حجِّهم ومناسكهم، وثوابًا جزيلا على عملهم الذي كسبوه، وبَاشروا معاناته بأموالهم وأنفسهم،خاصًّا ذلك لهم دون الفريق الآخر، الذين عانوا ما عانوا من نَصَب أعمالهم وتعبها، وتكلَّفوا ما تكلفوا من أسفارهم، بغير رغبةٍ منهم فيما عند رَبِهم من الأجر والثواب، ولكن رجاء خسيس من عَرض الدنيا، وابتغاء عَاجل حُطامها)([5])

وجملة التذييل هنا: (وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)، وهي مؤكدة لمفهوم الجملة السابقة ومعللة لها.

من أسرار التذييل في الآية الكريمة:

وقد حوى هذا التذييل عددا من الأسرار منها ما يلي:

١- إفادة البشارة فهو (تذييل قصد به تحقيق الوعد بحصول الإجابة ، وزيادة تبشير لأهل ذلك الموقف ، لأن إجابة الدعاء فيه سريعة الحصول ، فعلم أن الحساب هنا أطلق على مراعاة العمل والجزاء عليه.)([6]).

---

[1] - المائدة: ٩٨.
[2] - ابن عثيمين: ٣٣٠/٤، بتصرف يسير.
[3] - البقرة: من الآية: ٢٠٢.
[4] - البقرة: ٢٠٢.
[5] - جامع البيان/ ٤/ ٢٠٧.
[6] - التحرير والتنوير: ٢٤٩/٢.

٢- دلالته على وفاء الله بوعده؛ لأن المؤمنين داخلون فيمن يقع لهم سرعة حساب ربهم، وفيه تعجيل بحصول مقصودهم فالتذييل هنا(أريد به الوفاء بالوعد وإيصال الموعود به ، فاستفادة التبشير بسرعة حصول مطلوبهم بطريق العموم؛ لأن إجابتهم من جملة حساب الله تعالى عباده على ما وَعدهم فيدخل في ذلك العموم)([1]).

٣- إفادته إحاطة علم الله – تعالى- (أنه محيط بعمل الفريقين كليهما اللذين من مسألة أحدهما:" رَبنا آتنا في الدنيا"، ومن مسألة الآخر:" ربنا آتنا في الدنيا حَسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"، فَمُحْصٍ له بأسرع الحساب، ثم إنه مجازٍ كلا الفريقين على عمله)(٢).

٤- إفادته عدم المشابهة بين الله-تعالى- وبين خلقه، (وإنما وصف جل ثناؤه نفسه بسرعة الحساب، لأنه جل ذكره يُحصي ما يُحصي من أعمال عباده بغير عَقد أصابع، ولا فكرٍ ولا رَوية، فِعلَ العَجَزة الضَّعَفة من الخلق، ولكنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يَعزب عنه مثقال ذرة فيهما، ثم هو مُجازٍ عبادَه على كل ذلك.)([3])

٥- (أنه سريع القبول لدعاء عباده والإجابة لهم ، وذلك لأنه تعالى في الوقت الواحد يسأله السائلون كل واحد منهم أشياء مختلفة من أمور الدنيا والآخرة، فيعطي كل واحد مطلوبه من غير أن يشتبه عليه شيء من ذلك ولو كان الأمر مع واحد من المخلوقين لطال العد واتصل الحساب ،)([4]).

---

[1] - التحرير والتنوير/ ٢٤٩/٢.
[2] - جامع البيان: ٢٠٧/٤.
[3] - جامع البيان: ٤/ ٢٠٨، وانظر زاد المسير: ١٩٣/١.
[4] - مفاتيح الغيب: ٣/ ٢٠٧.

٦- وفيه(وعْدٌ على كسْب الأعمال الصالحة)([1]).

٧- ومن أسرار التذييل هنا إفادته الإنذار، فمن معاني سريع الحساب (سريعُ مجيءِ يومِ الحسابِ ، فيكون المقصدُ بالآية الإِنذارَ بيَوْم القيامة)([2]).

يقول صاحب الظلال: (إن هذا التعليم الإلهي يحدد: لمن يكون الاتجاه . ويقرر أنه من اتجه إلى الله وأسلم له أمره ، وترك لله الخيرة ، ورضي بما يختاره له الله ، فلن تفوته حسنات الدنيا ولا حسنات الآخرة . ومن جعل همه الدنيا فقد خسر في الآخرة كل نصيب..إن الإسلام لا يريد من المؤمنين أن يدعوا أمر الدنيا. فهم خلقوا للخلافة في هذه الدنيا . ولكنه يريد منهم أن يتجهوا إلى الله في أمرها؛ وألا يضيقوا من آفاقهم ، فيجعلوا من الدنيا سوراً يحصرهم فيها)([3])

وهكذا يحوي هذا التذييل تلك المعاني التي تحمل البشر للمؤمنين والإنذار للمسرفين الذين حصروا طلبهم في الدنيا وحدها.

---

[1] - الجواهر الحسان: ١٦٦/١.
[2] - الجواهر الحسان: ١٦٦/١.
[3] - في ظلال القرآن: ٢٠٢/١.

الخاتمة

وبعد فتلك رحلة ماتعة في رحاب هذه الشريحة المختارة من آيات سورة البقرة حول أسرار التذييل في هذه الآيات الكريمة،وقد بان من خلالها مايلي:

١- أن التذييل لون من ألوان التعبير القرآني البديع يحمل أسرارا وحكما تحتاج إلى دراسات متواصلة مؤصلة؛ لتبرز عظمة القرآن وروعته في هذا الجانب من جوانب البيان القرآني، وليزداد جمالا على جمال.

٢- غنى الآيات القرآنية بالتذييل واشتماله على حكم وأسرار تستأهل الدراسة وتغري بالبحث.

٣- قيمة التذييل البلاغية، ودلالته على عظمة القرآن وبيانه بما لا يدع مجالا للشك عند منصف في كون القرآن كلام الله رب العالمين.

٤- ورود التذييل في القرآن على أقسامه المتعددة وألوانه المتباينة، فمرة يأتي جاريا مجرى المثل ومرة لا يجري مجرى المثل، ومرة يأتي مؤكدا للمنطوق وأخري يجيء مؤكدا للمفهوم.

٥- تناسب التذييل مع الجملة السابقة عليه تناسبا راقيا يجعل السابق يمهد للاحق واللاحق يؤكد على السابق في تناغم واتساق.

٦- أن هذا اللون من الدراسات القرآنية يحتاج إلى عمل مؤسسي متكامل لتنهض روعة القرآن على منهجية ثابتة وجهد موفور.

٧- دعوة ملحة إلى دراسة القرآن الكريم – من خلال هذه التجربة مع التذييل إلى وضع مشروع يستوعب حاجة الأمة من القرآن وإظهار جوانب العظمة فيه تتبناه مؤسسة رسمية، وليس أحق بهذا من مؤسسة يثق فيها العالم على اختلافه كالأزهر وعلمائه وشيوخنا لهذا أهل.

٨- ما بذلته في هذه الدراسة المتواضعة جهد المقل وزاد المسافر فما كان فيه من صواب فهو محض فضل المنان وما كان فيه من قصور فمني ومن الشيطان، والله وحده خير مسئول ومأمول، وهو نعم المولى ونعم النصير.

فهرس المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم.

ثانيا:

- الإتقان، للسيوطي، ط: المكتبة الثقافية، بيروت لبنان، ١٩٧٣مـــ.
- إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم . للعلامة أبي السعود (محمد بن محمد مصطفي العمادي الحنفي ت ٩٨٢ هـــ) ط : دار الفكر بدون تاريخ.
- أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، علق عليه محمود محمد شاكر، ط: دار المدني بجدة، ط أولى ١٤١٢هـــ / ١٩٩١مـــ.
- إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني، الناشـــر: دار المعارف – القاهرة تحقيق : السيد أحمد صقر .
- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ط دار الفكر، بيروت، ط الثانية.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي.
- أيسر التفاسير : أسعد محمد حومد . المكتبة العصرية – بيروت.ط: الأولى.
- أيسر التفاسير : للشيخ أبي بكر جابر للجزائري ٢ / ١١٦ ط مكتبة العلـــوم والحكـــم بالمدينة ، ١٤١٨هـــ ط : الثالثة .
- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، شرح وتعليق وتحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط: دار الجيل بيروت.
- البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف ، دار الفكر ، بيروت لبنان ط :الثانيـــة ١٤٠٣ هـــ / ١٩٨٣ .
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبـــد الله الزركشـــي، ت/ د. يوســـف مرعشلي وآخرين، ط: دار المعرفة، بيروت ـــ لبنان.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، د. عبد المتعـــال الصـــعيدي، المطبعـــة النموذجية، مكتبة الآداب.

- البلاغة الاصطلاحية، د. عبد العزيز عتيق، ط: دار الفكر العربي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ط: دار سحنون، تونس، بدون تاريخ.
- تفسير ابن عثيمين، محمد الصالح بن عثيمين،ط: دار ابن الجوزي،ط أولى ١٤٢٦هـ.
- تفسير ابن عرفة : محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي . دار القلم ، دمشق ط: ١٤٢٤هـ - دار الكتب العلمية بيروت ط: ١٤٠٥هـ .
- تفسير التستري : أبو محمد ، سهل بن عبد الله التستري . دار الكتب العلمية بيروت .
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) للسيد محمد شيد رضا . دار المنار بالقاهرة سنة ١٣٧٢ هـ سنة ١٩٥٣ م . ط : الثانية ٠
- تفسير القرآن العظيم : الشهير بتفسير ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي دار الفكر : بيروت : ١٤٠١ هـ ١٩٨٢
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء بن كثير، ط دار الحديث القاهرة ،ط أولى، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.
- التفسير الميسر : مجموعة من العلماء بإشراف الدكتور : عبد الله بن عبد المحسن التركي . ط : مجمع الملك فهد – المدينة المنورة .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان .للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى ت: ١٣٧٦ هـ . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط : الأولى . ١٤٢٣هـ .
- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الطبعة : الأولى،الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ.
- جامع البيان فى تفسير القرآن (تفسير الطبرى) ، أبو جعفر محمد بن جرير ، دار الريان ، القاهرة ، مصر ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .
- الجامع الصحيح المختصر، للإمام محمد بن إسماعيل بن عبد الله البخاري الجعفي، ط

دار ابن كثير، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م، ت/ د. مصطفى ديب البغا.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع،الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
- خزانة الأدب وغاية الأرب : تقي الدين ، أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري . دار ومكتبة الهلال – بيروت الطبعة الأولى،١٩٨٧،ت/ عصام شعيتو.
- ديوان المتنبي، لأبي الطيب المتنبي، ط: دار الزهراء –بيروت لبنان، ١٣٩٨هـت م١٩٧٨م.، ت/ د. عبد الوهاب عزام.
- روح البيان في تفسير القرآن : إسماعيل حقي الخلوتي بروسوى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط: السابعة ١٤٠٥ هـ .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : محمود الألوس أبوالفضل . دار إحياء التراث العربي : بيروت ، لبنان .
- زاد المسير، ابن الجوزي،
- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي،ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ط: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م.
- علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، المطبعة العربية، ط: السادسة.
- فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني ، راجعه وعلق عليه الشيخ / هشام البخاربي ، الشيخ خضر عكازي . المكتبة العصرية ، بيروت لبنان، ط: الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار الشروق القاهرة . مصر ط: الخامسة عشر. ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .
- القاموس المحيط : مجد الدين الفيروز آبادي . المكتبة التجارية الكبرى، ط : الخامسة.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : لمحمود بن عمر الزمخشري المعتزلي . ت ٥٢٨ هـ. ط : دار الفكر . بدون تاريخ .
- لطائف الإشارات : للإمام عبد الكريم القشيري ت ٤٦٥ . هـ ط: دار الكتاب العربي .القاهرة .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ط المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٥ م، لأبي الفتح الموصلي، ت/ محمد محي الدين عبد الحميد.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : للقاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي . ت ٥٤٦ هـ ط : المجمع العلمي بفاس المغرب ١٣٩٥ هـ . وطبعة دار الكتب العلمية . بيروت .
- مختصر المعاني، لسعد الدين التفتازاني،ط: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت –لبنان، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ، لأبي البركات عبد الله النسفي، ط دار الفكر بدون.
- معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء المعروف بالبغوي،ط: الثانية، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥.
- معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة، ط: دار ابن حزم، بيروت/ دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة ط: الرابعة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- مفاتيح الغيب : الفخر الرازى ، محمد بن عمر بن الحسين الرازى . دار الغد العربى ، القاهرة ، مصر، ط : الأولى .
- نظم الدرر في تناسق الآيات والسور : برهان الدين ، أبو الحسن ، إبراهيم بن عمر البقاعي . دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، مصر ، ط: الثانية ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م .
- النكت والعيون، أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي.

فهرس الموضوعات

المقدمة	٢
القسم الأول: الجانب الدراسي للتذييل	٦
المبحث الأول: مفهوم التذييل	٦
المبحث الثاني: قيمة التذييل البلاغية وعلاقته بالإعجاز القرآني.	١١
المبحث الثالث: العلاقة بين التذييل وبعض مصطلحات علوم القرآن	١٤
المبحث الرابع: العلاقة بين التذييل وبعض المصطلحات البلاغية المتقاربة.	٢٠
القسم الثاني: في الجانب التطبيقي للتذييل في الآيات المختارة	٢٦
المبحث الأول: في دراسة بيئة المفردات وعلاقتها بالتذييل	٢٦
المبحث الثاني :من أسرار التذييل الجاري مجرى المثل في الآيات الكريمة.	٣٠
المبحث الثالث: من أسرار التذييل المؤكد للمنطوق في الآيات الكريمة.	٤٥
المبحث الرابع:من أسرار التذييل المؤكد للمفهوم في الآيات الكريمة.	٥٧
الخاتمة.	٦٣
فهرس المصادر والمراجع	٦٤
فهرس الموضوعات	٦٨